جُهُودُ المَدْرَسَةِ الأَشْعَرِيَّةِ فِي الرَّدِّ عَلَىٰ عَقِيْدَةِ البَدَاءِ عِنْدَ الشِّيْعَةِ الإثنَي عَشْرِيَّةِ

إعـداد

د. علي محمد حسن علي

مدرس العقيدة والفلسفة ـ بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

من ٣٥ إلى ٩٢

جهود المدرسة الأشعرية في الرد على عقيدة البداء عند الشيعة الإثني عشرية

علي محمد حسن علي
قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق- جامعة الأزهر- مصر
البريد الإلكتروني :dralielazhry@yahoo.com

ملخص بحث :

اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من تمهيدٍ، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وسبت مراجع.

أمَّا التمهيد: ففيه: التعريف بأهم المصطلحات الواردة بالبحث. كـ (البداء لغةً واصطلاحًا، والنسخ لغةً واصطلاحًا، والفرق بينهما، وأدلة البداء عند الشيعة، ومناقشة أقوالهم في ذلك).

وأمَّا المبحث الأول: فجاء بعنوان البداء في العهد القديم. وقد أثبت فيه أن عقيدة البداء لم تظهر فجأة عند الشيعة، وإنما كانت موجودة قبل ظهور التشيع أصلًا، فلقد قال بها اليهود، وتوارث الشيعة عقيدة البداء منهم، ولذا فإن عقائد اليهود تكاد تكون منصهرة في عقائد الشيعة وتعاليمهم، وذلك لأن مؤسس التشيع هو (عبدالله بن سبأ) كان يهوديًا؛ فنقل هذا الإرث اليهودي في المعتقد الشيعي حتى أصبح البداء من أقرب القربات عند الشيعة على حد زعمهم.

وأمَّا المبحث الثاني: فعنوانه: البداء في معتقد علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية حتى القرن الخامس الهجري. وتبين من خلاله أن عقيدة البداء في الفكر الشيعي من العقائد التي أحدثت جدلًا بين أواسط علماء الشيعة ومراجعهم، ولقد نظروا إليها كمنهجية متوارثة، فلم يستطع مراجع الشيعة إنكار هذا المعتقد؛ لكنهم حاولوا أن يسوغوا ذلك برواياتٍ كثيرة، جاء في بعضها: أن الإقرار والاعتراف لله بالبداء من الإيمان، وفي بعضها الآخر أن الإيمان لا يتم بدونه، وأنه من أفضل العبادات.

وأمَّا المبحث الثالث: فتناول موقف المدرسة الأشعرية من عقيدة البداء عند الشيعة الإمامية. وقد تقرر فيه: رأي جمهور العلماء من أهل السنة؛ إذ منعوا البداء ورفضوه، وأن الشيعة هم الذين قالوا بالبداء، وأنهم جاءوا بروايات مكذوبة ألصقوها بسيدنا علي -رضي الله عنه- ومن جاء بعده من الأئمة وفق زعمهم، وذلك؛ ليقرروا هذا المعتقد، بل زعموا أن البداء هو أصل دين الأئمة المعصومين ودين آبائهم من قبلهم، ولا شك أن هذا المعتقد يتنافى وتنزيه الله -تعالى-؛ بل يُمثل نقصًا ورميًا بالباطل -تعالى- الله عن إفكهم.

وأما الخاتمة: فقد ذكرت فيها بعض النتائج التي وصلت إليها خلال رحلة البحث، ثم ذيلت البحث بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في توثيق المعلومات.

الكلمات المِفتاحية: جهود، المدرسة، الأشعرية، عقيدة، البَدَاء، النسخ، اليهود، الشيعة الإمامية، الإثني عشرية.

The Contributions of the Ashari School of Thought in Refuting the Twelver Shiites' Doctrine of Al-Bada'

Ali Mohamed Hasan Ali
Department of Islamic Theology and Philosophy-Faculty of Usul Ad-Din and Da'wah in Zaqaziq. Al-Azhar University.Egypt.

Abstract:

This research is divided into an introduction, three sections, a conclusion and bibliography.

The introduction includes definitions of the research's most important terms. For example, the lexical and the technical definition of Al-Bada' (alternation in God's Will) and An-Naskh (abrogation) are provided. The difference between the two terms are also highlighted. The introduction also provides and discusses the proofs cited by the *Shiites* in support of their belief in this doctrine.

Section One comes under the title *"Al-Bada' in the Old Testament."* In this section I proved that this doctrine is not a purely Shiites doctrine, rather it existed way before the emergence of Shiism. It is a Jewish doctrine was passed down to the Shiites. This explains the fact that the Jewish doctrines are incorporated into the doctrines and teachings of the Shiites. This is attributed to the fact that the Abdullah In Saba', the founder of Shiism was himself a Jew who transferred this Jewish legacy into the Shiite corpus of beliefs. According to the Shiites, belief in *Al-Bada'* draws one nearer to God.

Section Two comes under the title *"Shiite Scholars' View of Al-Bada' until the 5th Century AH."* Having discussed this issue, it became quite clear that the doctrine of *Al-Bada'* created much controversy among grand Shiite scholars. View this doctrine as an integral part of their faith, none of them was able to deny it. However, they tried their best to justify their belief in this doctrine through provision of too many reports, some of which provide that it is an integral part of faith to acknowledge and affirm that *Al-Bada'* is an Attribute of God. Other reports indicate that the faith of a person is not complete until he believes in *Al-Bada'* which is regarded as one of the best acts of worship.

Section Three highlights the view of the Ashari school of thought regarding the Shiite doctrine of *Al-Bada'*. This section presents the opinion held by the majority of the Sunnite scholars who rejected this notion. They believe that in order to establish this doctrine, the Shiites have fabricated false reports which they attributed to Ali (May God be Pleased with him) and the Imams who came after him. They Shiites even claim that *Al-Bada'* is the very foundation upon is based the religion of the infallible imams and their predecessors. Doubtless, this belief implies that God is imperfect, Exalted be God above what they claim!

The conclusion contains the most important results I have arrived at through this research journey. The research concludes with the most important primary and secondary sources which I relied on so as to document my information.

I ask God to accept this humble work of mine.

Key Words: Contributions – School of Thought – Doctrine – Al-Bada'– Abrogation – Twelver Shiites .

المُقَدِّمَـةُ :

الحمـد لله، والصـلاة والسـلام علـى سـيدنا ومولانـا رسـول الله، وعلـى آلـه، وصحبه، ومن والاه.

وبعد،،،

فإن لموضوعات العقيدة ومسائلها أهميةً بالغةً، ولمَ لا؟! وعلم العقيدة هو علم أصول الدين، وأساسه، وأصل دعوة الرسل عليهم السلام، والذي يجب على كل مسلمٍ أن يحافظ على صحة ديانته، وسلامة عقيدته من: الضلالات، والبدع، والخرافات، والانحرافات الفكرية والعقدية والمنهجية.

وإن من الأهمية بمكانٍ -ولا سيما للباحثين في علم العقيدة والأديان- تناول العقائد المنحرفة لدى بعض الفرق الضالة؛ ليستبين أمر تلك العقائد الفاسدة، وليتم تفنيد شبهات أصحابها، وبيان زيفها، ودحض كذبها، وإقامة الحجة على مدعيها؛ إذ إن هذا -لا ريب- هو واجب المشتغلين والمتخصصين في مجال العقيدة الإسلامية.

ومن ثم فقد استخرت الله -تعالى- واستعنت به؛ لأكتب عن إحدى تلك العقائد التي اتخذتها بعض الفرق عقيدةً لها، بل جعلتها عبادةً؛ يثاب القائل بها بدل الأجر أجرين، ولا يتم الإيمان إلا بالإقرار بها.

فتناولت بالبحث والدراسة عقيدة البداء عند الشيعة؛ ومبينًا معنى القول بالبداء عندهم، ومفرقًا بينه وبين النسخ، ومتناولًا نشأة تلك القضية -القول بالبداء- وأول القائلين بها، وما يترتب عليها من مشكلات عقدية، ومفصلًا معتقد علماء الشيعة، وموضحًا موقف أهل السنة من القول بالبداء؛ مع دحض حجج من اعتقدوا هذا المعتقد، والرد عليهم، وإلزامهم الحق بالأدلة النقلية والعقلية.

ولماذا البَدَاء خاصة؟

ذلك لأن البَدَاء له ارتباط وثيق بصحة اعتقاد الشيعة الإمامية الإثني عشرية، كما صرح بذلك علماء المذهب في الروايات التي ألصقوها لآل البيت -رضوان الله عنهم-، والتي جاءت بكثرة في كتبهم كما سنرى في طيات البحث.

المَنْهَجُ المُسْتَخْدَمُ :

١. المَنْهَجُ التَّحْلِيلِيُّ : هُو يَقومُ عَلىَ إرجَاعِ الكُلِ إلَى أَحزَائِهِ[١]، هو الانتباه إلى معنى التصور؛ ثم تقسيم التصور إلى أجزائه، ثم التمييز بين التصورات [٢]، وَقَامَ البَاحِثُ فِيهِ بِتَحْلِيلِ النُّصُوصِ المُخْتَارَةِ تَحْلِيلًا مَوضُوعِيًّا مِن خِلَالِ الأُصُولِ الَّتِي تَقُومُ عَلَيهَا عَقيدةُ البَدَاءِ عِندَ الشِيعةِ ومَا يُقَابِلُهَا عِندَ اليهودِ .

٢ . المَنْهَجُ النَّقْدِيُّ : وهُوَ مَوقِفٌ مَعْرِفِيٌّ قَائِمٌ عَلَى أَخْذِ وقَبُولِ مَا هُوَ صَوَابٌ فِي الرَّأْيِ، ورَدِّ ورَفْضِ مَا هُوَ خَطَأٌ فِيهِ[٣]، ويَسْتَخْدِمُهُ البَاحِثُ لِتَوجِيهِ بَعْضِ الانْتِقَادَاتِ لِمَوضُوعِ الدِّرَاسَةِ أَو شَخْصِيَّاتِ الدِّرَاسَةِ بِقَدْرِ مَا يَتَوَصَّلُ إِلَيهِ البَحْثُ، والرد مِنْ خِلالِ المدرسةِ الأشعريةِ.

٣ . المَنْهَجُ المُقَارِنُ: وبِهِ يَتِمُّ المُقَارَنَةُ بَينَ الأَقْوَالِ والآرَاءِ[٤]، ويُسْتَخْدَمُ فِي مُنَاقَشَةِ أَقْوَالِ الشَيعة واليهود فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِعَقِيدَةِ البداء.

<u>أَمَّا الفُرُوضُ المُوجَّهَةُ الَّتِي تُحَاوِلُ مَبَاحَثُ البحث الإِجَابَةَ عَنْهَا:</u>

لماذا البداء؟

ما تعريف البداء في اللغة والإصلاح؟

ما الفرق بين البَدَاءِ وبين النسخ؟

ما المقصود بعقيدة البداء عند الشيعة؟

ما موقف اليهود من البداء؟ ما موقف علماء الشيعة الأوائل من البداء؟

ما موقف علماء المدرسة الأشعرية من عقيدة البداء عند الشيعة؟

وغيرها من الفروض التي تمت الإجابة عليها من خلال مباحث البحث.

<u>وقد جاء البحث في النقاط التالية :</u>

تمهيد، وفيه : التعريف بأهم المصطلحات الواردة بالبحث.

---

(١) المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية)، د. جميل صليبا (المتوفى: ١٩٧٦م)، ١/٢٥٤.

(٢) مناهج البحث الفلسفي، د. محمود زيدان، صـ ٩١.

(٣) مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي دراسة نقدية في ضوء الإسلام، د. عبدالرحمن بن زيد الزبيدي، صـ ٣١.

(٤) مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، د. يحيى مصطفى عليان، د. عثمان محمد غنيم، صـ ٥٦.

المبحث الأول : البداء في العهد القديم.

المبحث الثاني : البداء في معتقد علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية حتى القرن الخامس الهجري.

المبحث الثالث : موقف المدرسة الأشعرية من عقيدة البداء عند الشيعة الإمامية.

وفي الختام أرجو من الله -تعالى- أن يتقبل هذا العمل، وينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله أولًا وآخرًا.

التمهيـد :

التعريف بأهـم المصطلحات الـواردة بالبحـث

البداء لغة واصطلاحًا:

أولًا : تعريف البداء لغة : جاءت لفظة البَداء في المعاجم اللغوية بالفتح والمد مصدر الفعل الثلاثي المجرد (بدا)، ومنه قولك: بدا لعلي كذا؛ أي ظهر له بعد أن كان مجهولًا، ومستورًا عنه، ويُطلق البداء في اللغة على عدة معان من أبرزها (الظهور، والنسيان، واستصواب الشيء، وتغير الرأي، والقضاء)[١].

ثانيًا : تعريف البداء اصطلاحًا : تخبط أقطاب الشيعة في تعريف البداء، فمنهم من خلط بين البدء والبداء في محاولة منهم لإخفاء عقيدتهم، لكن نجد الأمر ونقيضه ربما في الفقرة الواحدة، ذكر (ابن بابويه القمي ـ ت ٣٨١هـ) وهو المسمى عندهم بـ(الشيخ الصدوق) فقال ما نصه : (ليس البداء كما يظنه جهال الناس بأنه بداء ندامة تعالى الله عن ذلك، ولكن يجب علينا أن نقر لله -عز وجل- بأن له البداء معناه أن له أن يبدأ بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء؛ ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره)[٢].

ثم عرفه في الفقرة التي تلي الفقرة الأولى فقال : (أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله، أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه، وذلك مثل نسخ الشرايع، وتحويل القبلة، وعدة المتوفى عنها زوجها)[٣].

ولا نعلم ماذا يقصد (ابن بابويه) إلا التلبيس على الناس، ففي الفقرة الأولى يذكر أن الله تعالى يبدأ الخلق ثم يُعيده، ويخلق الخلق وقد وقتَ لهم

---

(١) راجع لسان العرب ـ ابن منظور ـ ٦٦/١٤ مادة (بدأ)، مختار الصحاح ـ الرازي ـ صـ ٣١ مادة (بدا)، التعريفات ـ الجرجاني ـ صـ ٤٣، تاج العروس من جواهر القاموس ـ الزَّبيدي ـ ١٥٤/٣٧ مادة (بدأ)، التوقيف على مهمات التعاريف ـ المناوي ـ صـ ٧٢.

(٢) التوحيد ـ القمي ـ صـ ٣٣٥ .

(٣) التوحيد ـ القمي ـ صـ ٣٣٥ .

أعمارهم وهذا محِلُ اتفاق عند أهل السنة والجماعة، ومن ذلك قول الله تعالى : {يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ}[١].

وفي الفقرة الثانية: نجده يتحدث عن النسخ، فهو يخلط بين الأمرين، ولا ندري ماذا يقصد.

وليستبين الفرق بين البداء والنسخ؛ ينبغي علينا أن نعرف النسخ؛ إذ معرفة الشيء فرع عن تصوره.

تعريف النسخ لغة واصطلاحًا:

تعريف النسخ لغة: تعددت معاني النسخ في اللغة فتارة يأتي بمعنى الإزالة والإبطال، ومنه قول الله تعالى: (فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ)[٢]، أي: فيزيل الله ويبطل ما يلقي الشيطان، وتارة يأتي بمعنى النقل والإثبات، وتارة يأتي بمعنى التحويل، وتارة يأتي بمعنى الاستنساخ أو الكتابة[٣]، ومنه قول الله تعالى: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [٤]، أي: نكتب.

ولذلك يمكن القول: إن النسخ في اللغة يُطلق على معنيين:

الأول: الرفع والإزالة والمحو، ومنه قول القائل: "نسخت الشمس الظل، ونسخ العلم الجهل".

الثاني: النقل والتحويل، ومنه قول القائل: "نسختُ الكتاب"، والمعنى: نقلتُ ما فيه.

تعريف النسخ اصطلاحًا: إن للنسخ في الاصطلاح تعريفاتٍ كثيرةً ومتعددةً، ولعل أرجحها وأوضحها ما يلي:

---

(١) سورة يونس : آية ٤ .

(٢) سورة الحج : آية ٥٢ .

(٣) راجع لسان العرب ـ ابن منظور ـ ٦٦/١٤ مادة (بدأ)، مختار الصحاح ـ الرازي ـ صـ ٣١ مادة (بدا)، التعريفات ـ الجرجاني ـ صـ ٤٣، تاج العروس من جواهر القاموس ـ الزَّبيدي ـ ١٥٤/٣٧ مادة (بدأ)، التوقيف على مهمات التعاريف ـ المناوي ـ صـ ٧٢.

(٤) سورة الجاثية : آية ٢٩ .

النسخ: هو الخطاب الدال على رفع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه؛ لكان ثابتًا مع تراخيه عنه.

ويجوز نسخ الرسم وبقاء الحكم، ونسخ الحكم وبقاء الرسم. والنسخ إلى بدل وإلى غير بدل، وإلى ما هو أغلظ، وإلى ما هو أخف. ويجوز نسخ الكتاب بالكتاب، ونسخ السنة بالكتاب، ونسخ السنة بالسنة. ويجوز نسخ المتواتر بالمتواتر منهما، ونسخ الآحاد بالآحاد وبالمتواتر، ولا يجوز نسخ المتواتر بالآحاد[١].

قوله: "الخطاب الدال على رفع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم"، ولا شك أنه لولا الخطاب الثاني؛ لكان العمل على الأول؛ لأن النسخ ضد الحكم السابق، وهو المنسوخ. وقوله: "الدال على رفع الحكم الثابت"؛ احترازًا عن العجز للقيام في الصلاة، أو بالمرض عن الصوم، فلا يقال لهذا العجز: نسخًا للقيام الثابت بالحكم المتقدم، ولا للصوم، بل إنما هو سبب طرأ على الحكم الثابت. وقوله: "على وجه لولاه لكان ثابتًا" أي: لولا الثاني؛ لكان الأول ثابتًا، والله أعلم[٢].

إذن هو: رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم بخطاب متراخ عنه[٣]، وله شروطه، وهي أربعة شروط:

- الأول: أن يكون المنسوخ حكمًا شرعيًا لا عقليًا أصليًا، كالبراءة الأصلية التي ارتفعت بإيجاب العبادات.
- الثاني: أن يكون النسخ بخطاب، فارتفاع الحكم بموت المكلف ليس نسخًا؛ إذ ليس المزيل خطابًا رافعًا لحكم خطاب سابق، ولكنه قد قيل أولًا: الحكم عليك ما دمت حيًا. فوضع الحكم قاصر على الحياة؛ فلا يحتاج إلى الرفع.

---

(١) الورقات: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، صـ٢١-٢٢.

(٢) ينظر: الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه، شمس الدين محمد بن عثمان بن علي المارديني الشافعي (المتوفى: ٨٧١هـ)، صـ١٨٤-١٨٥.

(٣) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، ١/٢١٩.

- الثالث: أن لا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيدًا بوقت يقتضي دخوله زوال الحكم، كقوله تعالى: {ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ}[١].

- الرابع: أن يكون الخطاب الناسخ متراخيًا، لا كقوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ}[٢]، وقوله تعالى: {حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}[٣]، [٤].

والنسخ في القرآن هو: رفع الحكم الثابت بالنص القرآني، أو رفع تلاوة النص والحكم الثابت به معًا.

وعلى هذا يكون معنى نسخ تلاوة النص: نسخ حكم من أحكامه، وهو رفع الإثابة على ترتيله وصحة الصلاة به، وغير ذلك من وجوه الأحكام للنص القرآني[٥].

هذا هو النسخ قد عرَّفناه لغةً واصطلاحًا، وبينَّا شروطه، وبذلك يظهر جليًا الفرق بينه وبين البداء؛ حتى لا يخلط بينهما أحد بغرض عن قصدٍ أو عن سهو.

ومما سبق يمكننا أن نلخص الفرق بين البداء والنسخ فيما يلي:

١. البداء: ظهور ما كان خفيًا كما مر في تعريفاته، النسخ: رفع حكم يتعلق بأمر أو نهي كما سبق بيانه في تعريفه وأنواعه.

٢. البداء: لا يقوم على دليل شرعي؛ بل يقوم على آراء شخصية لتقرير حكم شخصي، النسخ: يقوم على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٧.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

(٣) سورة التوبة، آية: ٢٩.

(٤) المستصفى: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، صـ٩٧-٩٨.

(٥) الواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا، صـ١٤١،١٤٠.

الدليل على البداء عند الشيعة :

جاءت كتب الشيعة حافلة بالبداء تدلل على وقوعه من الله تعالى – تعالى الله عن إفكهم_ ومن أمثلة هذه الأدلة ما جاء في أصول الكافي (للكليني : ت٣٢٩هـ) حيث عنوان بابًا باسم "البداء" فقال: "باب البداء"، وأردف يسوق جملة من الأحاديث بسنده إلى الأئمة؛ فروى ابتداءً : "مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحَجَّالِ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ثَعْلَبَةَ عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ عَنْ أَحَدِهِمَا –عليهما السلام– قَالَ مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْ ءٍ مِثْلِ الْبَدَاءِ وَ فِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ –عليه السلام– مَا عُظِّمَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْبَدَاءِ"(١) .

وفي بحار الأنوار؛ عَنْ أحمد بن محمد، عن الأهوازي، عن القاسم بن محمد، عن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى قال لنبيه: "فتول عنهم فما أنت بملوم" أراد أن يعذب أهل الأرض ثم بدا لله؛ فنزلت الرحمة؛ فقال: ذكر يا محمد فإن الذكرى تنفع المؤمنين، فرجعت من قابل فقلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك إني حدثت أصحابنا فقالوا: بدا لله ما لم يكن في علمه ؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن لله علمين: علم عنده لم يطلع عليه أحدًا من خلقه، وعلم نبذه إلى ملائكته ورسله فما نبذه إلى ملائكته فقد انتهى إلينا(٢).

وفي موضع آخر يذكر "المجلسي" رواية أخرى فيقول : عَنْ أبي حمزةَ الثُمالي قال: قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام: يا أبا حمزة إن حدثناك بأمر أنه يجيء من هاهنا فجاء من هاهنا فإن الله يصنع ما يشاء، وإن حدثناك اليوم بحديث وحدثناك غدًا بخلافه فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت(٣).

---

(١) الكافي ـ الكليني ـ ١/ ٨٥ .

(٢) بحار الأنوار ـ المجلسي ٤/١١٠ .

(٣) بحار الأنوار ـ المجلسي ٤/١١٩ .

وعلى ذلك فإن الشيعة يقرون بنسبة الجهل وحدوث العلم لله تعالى –تعالى الله عن قولهم–،وعمدتهم في هذا الزعم قول الله تعالى:{يَمْحُو اللَّهُ مَا شَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}(١).

ومن خلال فهمهم لهذه الآية يُثبتون عقيدتهم في البداء، ولا أعلم ثمة علاقة بين معنى الآية وبين معتقدهم هذا في نسبة الجهل لله تعالى؛ أو العدول عن رأيه تعالى، فإن الآية جاءت بمدلول مغاير لفهمهم هذا؛ إذ قال الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشاءُ وَيُثْبِتُ) أَيْ: يَمْحُو مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ مَا يَشَاءُ أَنْ يُوقِعَهُ بِأَهْلِهِ وَيَأْتِيَ بِهِ. "وَيُثْبِتُ" مَا يَشَاءُ، أَيْ: يُؤَخِّرُهُ إِلَى وَقْتِهِ"(٢)، وبنحو ذلك قال الحافظ (ابن كثير) عند تفسير تلك الآية؛ إذ ساق جملة من الآراء تتعلق ببيان مراد الله تعالى من هذه الآية، ثم خَلصَ إلى "أَنَّ الْأَقْدَارَ يَنْسَخُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْهَا، وَيُثْبِتُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ"(٣).

ولا أعلم قائلًا من المفسرين قال بخلاف هذا القول، فإن الآجال والأرزاق والشقاوة والسعادة لا تتبدل، لكن الله تعالى قد يؤخر العقوبة للعبد في الدنيا من باب الإمهال، وهذا ما استقرت عليه الأمة سلفًا وخلفًا، كما دلت آيات القرآن والأحاديث الصحيحة على ذلك.

وبهذا نكون قد عرفنا معنى البداء في اللغة والاصطلاح، والنسخ في اللغة والاصطلاح أيضًا، وبينا الفرق بينهما، ووقفنا على الأدلة التي استند إليها الشيعة في قولهم بالبداء، وناقشنا ذلك كما مرَّ آنفًا.

---

(١) سورة الرعد : آية ٣٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ـ القرطبي ٩/٣٢٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ٤/٤٦٩ .

المبحث الأول: عقيدة اليهود في البداء.

إن عقيدة البداء لم تظهر فجأة عند الشيعة، وإنما كانت موجودة قبل ظهور التشيع أصلًا، فلقد قال بها اليهود ووصفوا الله تعالى بالجهل وبالندم على فعله وبالحماقة تارة أخرى –تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا–، ومن ذلك ما جاء في كتابهم المقدس على سبيل المثال :

١- جاء في سفر التكوين : "وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ، فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ»"[١].

ولقد حاول أحد شُراح الكتاب المقدس أن يصرف المعنى المراد في النص السابق، فقال معقبًا على هذه الفقرات: "لاحظ الله انتشار الشر في العالم، واستمرار الناس في هذا الشر كل يوم ورفضهم المستمر للتوبة، ولهذا يصور لنا الوحي المقدس مدى حزن الله؛ لأن الإنسان لم يحقق قصده وهو الصداقة معه، والسلوك في طريق البر، تأسف في قلبه: تعبير بشري بمعنى حرفيًا "الندم". أما المقصود هنا: هو تصوير مدى حزن قلب الله، قرر الله إهلاك الأشرار؛ لأن الإنسان لن يستفيد من بقائه على الأرض بل يزداد شرًا؛ فتنتظره عقوبة أكبر، فمن رحمة الله وعدله قرر إنهاء حياته وفي نفس الوقت أعطاه فرصة أخيرة للتوبة لعله يرجع إليه؛ أيضًا إهلاك البهائم مع إنها لم تخطئ ولكنها تدنست بشر الإنسان الذي خلقت لأجله فلم يشكر الله على هذه الحيوانات بل على العكس استخدمها في شهواته، لاحظ أيها الحبيب كم يحزن الشر قلب الله، وكم تفرحه توبتك وعودتك، فكن إذًا مصدر لإسعاد قلبه، ولا تجعل العدو يستخدمك لإيلامه حتى لا تقع تحت سلطان تأديبه"[٢].

---

(١) سفر التكوين : ٦/٥ –٧ .

(٢) الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم شرح لكل آية، إعداد: كهنة وخدام كنيسة مار مرقص بمصر الجديدة، ١/٦٤-٦٥.

٢- جاء في سفر التكوين أيضًا :"فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: «لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضًا مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ، لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضًا أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ" وكان هذا بسبب طوفان نوح –عليه السلام–(١) .

والمعنى وفق تفسير شراح الكتاب المقدس حيث قالوا: "فرح الله بذبائح نوح ورضي عليه؛ أو على البشرية في شخصه ووعده ألا يُهلكَ كل البشر مرة أخرى هلاكًا شاملًا ملتمسًا العذر للإنسان أنه معرض للسقوط في الشر منذ حداثته أي مُنذُ طرد آدم من الجنة، وإن كان قد أهلك العالم كله بطوفان مرة فهذا لكي يُعلن للبشرية كراهيته للشر حتى يحيوا في الخير، ولكن بحنانه يُطيلُ أناته عليهم ولا يعود يهلكهم بطوفان أو أي شيء آخر هلاكاً شاملًا، ولا يلعن الأرض بل تصير مباركة هي وكل المخلوقات من أجل الإنسان الذي يُحب الله ويعبده"(٢).

٣- وجاء في سفر الخروج : وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «رَأَيْتُ هذَا الشَّعْبَ وَإِذَا هُوَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ، فَالآنَ اتْرُكْنِي لِيَحْمَى غَضَبِي عَلَيْهِمْ وَأُفْنِيَهُمْ، فَأُصَيِّرَكَ شَعْبًا عَظِيمًا، فَتَضَرَّعَ مُوسَى أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِهِ، وَقَالَ: «لِمَاذَا يَا رَبُّ يَحْمَى غَضَبُكَ عَلَى شَعْبِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ وَيَدٍ شَدِيدَةٍ؟، لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ الْمِصْرِيُّونَ قَائِلِينَ: أَخْرَجَهُمْ بِخُبْثٍ لِيَقْتُلَهُمْ فِي الْجِبَالِ، وَيُفْنِيَهُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ؟ اِرْجِعْ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِكَ، وَانْدَمْ عَلَى الشَّرِّ بِشَعْبِكَ، اُذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ عَبِيدَكَ الَّذِينَ حَلَفْتَ لَهُمْ بِنَفْسِكَ وَقُلْتَ لَهُمْ: أُكَثِّرُ نَسْلَكُمْ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكُمْ كُلَّ هذِهِ الأَرْضِ الَّتِي تَكَلَّمْتُ عَنْهَا فَيَمْلِكُونَهَا إِلَى الأَبَدِ»، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ يَفْعَلُهُ بِشَعْبِهِ"(٣).

والمعنى كما عند شُراح الكتاب المقدس: "بكر الشعب في الصباح للاحتفال بعيدهم، فقدموا محرقات وذبائح سلامة للإله الذي صنعوه، وجلسوا ليأكلوا حسب ما كان يفعل في تقديم ذبائح السلامة، وقد شربوا وسكروا حتى أنهم

---

(١) سفر التكوين :. ٨/ ٢١ .

(٢) الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم شرح لكل آية، صـ٨٠.

(٣) سفر الخروج :. ٣٢/ ٩-١٤ .

قاموا للعب -أي للرقص الخليع- وإتيان أعمال مجونية وشهوانية نجسة مثلما كانت الشعوب الوثنية تفعل في عباداتها، (قاموا غضب الله على الشعب، وأخبر موسى بتعديهم ومفاسدهم، وأمره بالنزول إليهم ليراهم وهم غارقون في وثنيتهم، وقد قال له: (انزل لأنه قد فسد شعبك) لا (شعبي)، وكان هذا إعلانًا عن انفصال الشركة بينه وبينهم وتبرؤه منهم، ....عرف الرب أن موسى سيتشفع في الشعب، وربما تشفع فيه بالفعل، فأعلن الرب غضبه عليهم، وأراد أن يُهلكهم ويكون من موسى ونسله شعبًا عظيمًا كما فعل مع نوح وإبراهيم، إن لرجال الله مكانة ودالة عظيمتين لدى الله حتى أنه يقول لعبده موسى: (اتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم)، كأنه -تعالى- لا يريد أن يعمل شيئًا إلا برضاه، كان موسى راعيًا أمينًا وزعيمًا مثاليًا مخلصًا، لم يبال بنفسه، فيسرّ بأن يجعل الله منه (شعبًا عظيمًا)، بل طلب سلامة شعبه وحياتهم، فقدم شفاعته من أجلهم ملتمسًا من الرب أن يصفح عن خطيتهم، وفي صلاته النقية العميقة ذكر أمام الرب نسبتهم إليه بقوله إنهم (شعبه) لا (شعب موسى)، كما أعلن الرب في حمو غضبه، ومراحمه الكثيرة نحوهم لأنه هو الذي (أصعدهم من مصر بقوته)، وأن انتقام الرب منهم سيكون عاملًا على شماتة المصريين في الشعب، وتجديفهم على الرب بادعائهم أن الرب أخرجهم من مصر (بخبث) أي بمكر؛ لأنه وعد أن يدخلهم إلى كنعان، ولكنه عوض هذا أماتهم في البرية، ثم ذكره -تعالى- بإبراهيم وإسحق وإسرائيل -يعقوب-، ويمواعيده المقدسة لهم، ...(وندم على الشر): تعبير مجازي معناه كف عن الانتقام منهم، (فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه): أي صفح الرب عنهم، وقد عبر الوحي بهذا التعبير المجازي؛ ليعلن مركز الأنبياء والقديسين لدى الرب، ومفعولية صلواتهم وتشفعاتهم لم يكن هذا تغييرًا لمقاصد العلي؛ لأن من مقاصده الإلهية التي تجري مجرى القانون أن الخطاة يستحقون العقاب والموت نتيجة لخطاياهم، وأن الرب يعفو ويغفر لهم إذا تابوا أو إذا قُدِمَتْ الصلوات عنهم، وكان في علم الله السابق أن الشعب سيخطئ وأن موسى سيصلي بحرارة عنهم، فكان لا بد من أن يُعِلن الرب ما كانوا

يستحقونه من العقاب والهلاك، وما كان لموسى ولصلاته من فاعلية في جعل الرب يصفح عنهم كمادتين متلاحقتين من القانون الإلهي الأزلي"[١].

٤- وجاء في سفر يونان: "ثُمَّ صَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ ثَانِيَةً قَائِلًا:«قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ، وَنَادِ لَهَا الْمُنَادَاةَ الَّتِي أَنَا مُكَلِّمُكَ بِهَا»، فَقَامَ يُونَانُ وَذَهَبَ إِلَى نِينَوَى بِحَسَبِ قَوْلِ الرَّبِّ، أَمَّا نِينَوَى فَكَانَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً للهِ مَسِيرَةَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، فَابْتَدَأَ يُونَانُ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَنَادَى وَقَالَ: «بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تَنْقَلِبُ نِينَوَى»، فَآمَنَ أَهْلُ نِينَوَى بِاللهِ وَنَادَوْا بِصَوْمٍ وَلَبِسُوا مُسُوحًا مِنْ كَبِيرِهِمْ إِلَى صَغِيرِهِمْ، وَبَلَغَ الأَمْرُ مَلِكَ نِينَوَى، فَقَامَ عَنْ كُرْسِيِّهِ وَخَلَعَ رِدَاءَهُ عَنْهُ، وَتَغَطَّى بِمِسْحٍ وَجَلَسَ عَلَى الرَّمَادِ، وَنُودِيَ وَقِيلَ فِي نِينَوَى عَنْ أَمْرِ الْمَلِكِ وَعُظَمَائِهِ قَائِلًا: «لاَ تَذُقِ النَّاسُ وَلاَ الْبَهَائِمُ وَلاَ الْبَقَرُ وَلاَ الْغَنَمُ شَيْئًا. لاَ تَرْعَ وَلاَ تَشْرَبْ مَاءً، وَلْيَتَغَطَّ بِمُسُوحٍ النَّاسُ وَالْبَهَائِمُ، وَيَصْرُخُوا إِلَى اللهِ بِشِدَّةٍ، وَيَرْجِعُوا كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ طَرِيقِهِ الرَّدِيئَةِ وَعَنِ الظُّلْمِ الَّذِي فِي أَيْدِيهِمْ، لَعَلَّ اللهَ يَعُودُ وَيَنْدَمُ وَيَرْجِعُ عَنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ فَلاَ نَهْلِكَ»، فَلَمَّا رَأَى اللهُ أَعْمَالَهُمْ أَنَّهُمْ رَجَعُوا عَنْ طَرِيقِهِمِ الرَّدِيئَةِ، نَدِمَ اللهُ عَلَى الشَّرِّ الَّذِي تَكَلَّمَ أَنْ يَصْنَعَهُ بِهِمْ، فَلَمْ يَصْنَعْهُ"[٢].

ومن خلال تفسير هذا السفر -يونان- حاول مفسره أن يصرفه أيضًا عن المعنى الحقيقي، فقال الشارح: "ندم الله هو تعبير بحسب مفهوم البشر معناه: ليس أن الله يغير رأيه ويندم بل أن الإنسان هو الذي يغير وضعه بالنسبة لله؛ فيصير الحكم بالنسبة له مختلفًا، فعندما يعاند الإنسان يسقط تحت التأديب، وإذ يرتد عن شره ويرجع إلى الله، يجد الله فاتحًا أحضانه"[٣].

والحق: أن المعنى هنا لا يحتاج إلى تأويل يكسوه هذا الكلام الإنشائي، فلقد تكررت العبارة كثيرًا بين دفتي الكتاب المقدس؛ فتارة ترد عبارة

---

(١) تفسير الكتاب المقدس، تفسير سفر الخروج، الارشيدياكون نجيب جرجس، صـ٢٥٧ - ٢٥٩.

(٢) سفر يونان : ٣/ ١-١٠ .

(٣) تفسير سفر يونان، كنيسة العذراء، صـ١٨.

غضب الرب، وأخرى خطأ الرب، وثالثة عدوله عن الأمر، وهكذا مما يدل على تصريحهم بالبداء في حق الرب وفق كتابهم المقدس.

٥- وجاء في سفر صموئيل الأول : "وَكَانَ كَلاَمُ الرَّبِّ إِلَى صَمُوئِيلَ قَائِلًا: «نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكًا، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي». فَاغْتَاظَ صَمُوئِيلُ وَصَرَخَ إِلَى الرَّبِّ اللَّيْلَ كُلَّهُ"(١).

وعن تفسير هذه الفقرة -ندم الرب- جاء في تفسير سفر صموئيل هذا النص: "ندمت: حزنتُ بسبب تصرفات شاول، لقد رفض الرب شاول؛ لأن شاول رفضه، وما أنقى قلب صموئيل، وأشد محبته"(٢).

وهل هناك أي توجيه لهذه اللفظة إلا الوقوع في الخطأ بسبب سوء الاختيار- عدم الإصابة في الاختيار الصحيح- الذي وقع فيه الرب -تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا-.

٦- وفي سفر عاموس : "هكَذَا أَرَانِي السَّيِّدُ الرَّبُّ وَإِذَا هُوَ يَصْنَعُ جَرَادًا فِي أَوَّلِ طُلُوعِ خِلْفِ الْعُشْبِ. وَإِذَا خِلْفُ عُشْبٍ بَعْدَ جِزَازِ الْمَلِكِ، وَحَدَثَ لَمَّا فَرَغَ مِنْ أَكْلِ عُشْبِ الأَرْضِ أَنِّي قُلْتُ: «أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، اصْفَحْ! كَيْفَ يَقُومُ يَعْقُوبُ؟ فَإِنَّهُ صَغِيرٌ!»، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى هذَا. «لاَ يَكُونُ» قَالَ الرَّبُّ، هكَذَا أَرَانِي السَّيِّدُ الرَّبُّ، وَإِذَا السَّيِّدُ الرَّبُّ قَدْ دَعَا لِلْمُحَاكَمَةِ بِالنَّارِ، فَأَكَلَتِ الْغَمْرَ الْعَظِيمَ وَأَكَلَتِ الْحَقْلَ، فَقُلْتُ: «أَيُّهَا السَّيِّدُ الرَّبُّ، كُفَّ! كَيْفَ يَقُومُ يَعْقُوبُ؟ فَإِنَّهُ صَغِيرٌ!»، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَلَى هذَا، «فَهُوَ أَيْضًا لاَ يَكُونُ» قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ"(٣).

والمعنى أيضًا كما ذكره شُراح الكتاب المقدس لهذا الإصحاح: "الرؤيا الأولى: رؤيا الجراد، الله يصنع جرادًا = إذًا فكل الضربات والتأديبات هي من صنع الله ضابط الكل، ... يجب أن نُلاحظ تدرج الضربات فأول ضربة هنا على خلف العشب، وخلف العشب هذا ينمو بعد حصد وتخزين المحصول الرئيسي الذي يُقدم منه لمراعي الملك، إذًا فالله يسمح بالنمو الأول، والجراد أُرسلَ على خلف العشب فقط أي: المحصول الثاني، فهذه الضربة التي تمتزج فيها مراحم الله

---

(١) سفر صموئيل الأول : ١٥/ ١٠-١١ .

(٢) تفسير سفر صموئيل، كنيسة العذراء، صـ ٧١.

(٣) سفر عاموس: ٧/ ١-٦ .

مع تأديباته لعلهم يتوبون، ثم نجد صلاة عاموس وشفاعته عن شعبه وقبول الله لها، ولذلك تصلي الكنيسة لأجل الزروع والعشب ومياه النهر والأهوية حتى لا يهلك شعب الله، فنصلي؛ ليرفع الله غضبه.

الرؤيا الثانية: رؤيا النار: هنا للتأديب كان أكثر قسوة؛ لأنهم لم يتوبوا، وإذا تصورنا أن الجراد كان يشير لجيش ....، فرؤيا النار تُشير لجيش مدمر، والنار هنا لتحرق الذنوب وتطهر، والنار هنا تُجفف الماء = الغمر العظيم، وبالتالي سيحدث قحط إذ لا ماء ويختفي الطعام = أكلت الحقل، وهنا أيضًا قبل الله شفاعة النبي، والنار هنا إذًا تُشير إما لجيش مدمر، أو لقحط شديد"(١).

هذه أمثلة يسيرة من جملة نصوص كثيرة في الكتاب المقدس تدل على ندم الرب، وعلى عودته عن فعل بعض الأمور التي لا تليق بالله تعالى –تعالى الله عن قولهم–، فهذه النصوص كلها يقصد منها جهل الرب، ووقوع الخطأ منه، وندمه على ما فعله؛ وتبديل قدره، قال (ابن حزم : ت ٤٥٦هـ) : "وَفِي توراتهم البداء الَّذِي هُوَ أَشد من النّسخ، وَذَلِكَ أَن فِيهَا أَن الله تَعَالَى قَالَ لمُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَام– سأهلك هَذِه الْأمة، وأقدمك على أمة أُخْرَى عَظِيمَة، فَلم يزل مُوسَى يرغب إِلَى الله –تَعَالَى– فِي أَن لَا يفعل ذَلِك حَتَّى أَجَابَهُ أمسك عَنْهُم، وَهَذَا هُوَ البداء بِعَيْنِه، وَالْكذب المنفيان عَن الله –تَعَالَى– لِأَنَّهُ ذكر أَن الله –تَعَالَى– أخبر أَنه سيهلكهم ويقدمه على غَيره، ثمَّ لم يفعل فَهَذَا هُوَ الْكَذِب بِعَيْنِه تَعَالَى الله عَنهُ"(٢).

وبذلك توارث الشيعة هذه العقيدة التي باتت تُشكلُ عبادة بالنسبة لهم، ويُستئنس من ذلك أن عقائد اليهود منصهرة في عقائد الشيعة وتعاليمهم، لأن مؤسس التشيع هو (عبدالله بن سبأ –ابن السوداء–) كان يهوديًا فنقل هذا الإرث اليهودي في المعتقد الشيعي حتى أصبح البداء من أقرب القربات عند الشيعة على حد زعمهم.

---

(١) تفسير سفر عاموس، كنيسة العذراء، صـ٢٩.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ ابن حزم ـ ١/٨٤ .

وبهذا يتضح أن عقيدة البداء لم يكن الشيعة أول القائلين بها، وإنما كانت موجودة قبل ظهور التشيع؛ إذ قال بها اليهود، وكتابهم المقدس به الكثير من النصوص الناطقة بذلك –كما وضحنا سابقًا–.

المبحث الثاني: البداء في معتقد علماء الشيعة الإمامية الإثني عشرية حتى القرن الخامس الهجري.

تعد عقيدة البداء في الفكر الشيعي من العقائد التي أحدثت جدلًا بين أواسط علماء الشيعة ومراجعهم، ولقد نظروا إليها كمنهجية متوارثة، فلم يستطع مراجع الشيعة إنكار هذا المعتقد؛ لكنهم حاولوا أن يبرروا هذا المعتقد بعدة أدلة، تُذكرُ في مواضعها.

ولذا فإن هذا الاعتقاد قد أحدث خرقًا في عقيدة الشيعة، ولقد دافع غير واحد من مراجعهم سلفًا وخلفًا عن هذا الاعتقاد ظنًا منهم أن هذا يعد من قبيل التنزيه لأئمتهم، ونجد أن جماعة منهم خلطوا بينه وبين النسخ استحياءً منهم وحملوه على مسألة النسخ كما في قول الله تعالى : {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[١]، وذلك وفقًا لمعطيات تفسيرهم، وإن كان الخلط ظاهرًا كما سيتضح من خلال ما يلي، ويمكن أن نذكر جملة من أئمة الشيعة الذين قالوا بالبداء فيما يلي:

١. محمد بن الحسن الصفار القمي (ت ٢٩٠ هـ)، روى في بصائره عن أبي بصير عن أبي عبدالله –عليه السلام– قال: "إن لله علمين: علم مكنون مخزون، لا يعلمه إلا هو، ومن ذلك يكون البداء؛ وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبيائه ونحن نعلمه"[٢].

٢. أبو النظر محمد بن مسعود عيّاش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي (ت ٣٢٠ هـ)، فروى في تفسيره أن علي بن الحسين –عليه السلام– قال: لولا البداء لحدثتكم بما يكون إلى يوم القيامة"[٣]، وفي هذه الرواية رمي صريح لله–تعالى– بالجهل، أو قصور علمه بالنسبة لعلم الأئمة، ويبدو أن (العياشي) قد استعذب الفكرة؛ فجعل يروج لها من خلال تفسيره، فقال ما حاصله: "عن عمرو بن الحمق، قال: "دخلت على أمير المؤمنين –عليه السلام–، حين ضرب على قرنه، فقال لي: يا عمرو، إني مفارقكم، ثم قال: سنة السبعين

---

(١) سورة البقرة : آية ١٠٦ .

(٢) بصائر الدرجات للصفار: باب ٢١ ـ حديث رقم ٢، جـ ٢، صـ ١٠٩.

(٣) تفسير العياشي: ٢ / ٢١٥.

بلاء، فقلت بأبي أنت وأمي، قلت: إلى السبعين بلاء، فهل بعد السبعين رخاء؟، قال: نعم يا عمرو، إن بعد البلاء رخاءً، وذكر آية : {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}(١)،(٢).

٣. الكليني (ت٣٢٨ أو ٣٢٩هـ): أورد في كتابه (الكافي) ست عشرة رواية كلها تحت عنوان (البداء) وجعل (البداء) أصلًا من أصول الإيمان عندهم، حتى قال أحد باحثي الشيعة ما نصه: "لقد روى الكليني في باب البداء ست عشرة رواية، وجاء في بعضها أن الإقرار والاعتراف لله بالبداء من الإيمان، وفي بعضها الآخر أن الإيمان لا يتم بدونه، وأنه من أفضل العبادات"(٣)، ولن نذكر الروايات كلها بل سنقتصر على بعض منها:

الرواية الأولى: "عن زرارة بن أعين، عن أحدهما -عليهما السلام- قال: ما عبد الله بشيءٍ مثل البداء. وفي رواية ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله -عليه السلام- ما عُظِّمَ اللهُ بمثل البداء"(٤).

الرواية الثانية: "عن أبي عبد الله -عليه السلام- قال: "ما تنبأ نبي قط، حتى يقر لله بخمس خصال: بالبداء والمشيئة والسجود والعبودية والطاعة"(٥).

الرواية الثالثة: عن الرضا -عليه السلام- قال: "ما بعث الله نبيًّا قطّ إلّا بتحريم الخمر وأن يقرّ له بالبداء"(٦).

الرواية الرابعة: نجد فيها أن (الكليني) قد جاء براوية تناقض الروايات التي جعلها أدلة على البداء، فأثبت العلم المطلق لله -تعالى-، قال (الكليني) في الرواية الحادية عشرة: "علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شئ لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما

---

(١) سورة الرعد : آية ٣٩ .

(٢) تفسير العياشي: حديث رقم ٦٨، ٢ / ٢١٧.

(٣) دراسات في الكافي للكليني، والصحيح للبخاري . هاشم معروف، صـ ٢٢٠.

(٤) الكافي للكليني: ١/ ١٤٦.

(٥) الكافي للكليني: ١/ ١٤٦.

(٦) الكافي للكليني: ١٤٨/١، التوحيد لابن بابويه: صـ٣٣٤، بحار الأنوار: ١٠٨/٤

كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى قبل أن يخلق الخلق"(١).

الرواية الخامسة: ثم بعد هذه الرواية مباشرة ذكر رواية أخرى تدلل على الثواب العظيم لمن اعتقد بالبداء ونادى به، يقول (الكليني): "عن علي بن إبراهيم، عن محمد، عن يونس، عن مالك الجهني قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لو علم الناس ما في القول بالبداء من الاجر ما فتروا عن الكلام فيه"(٢).

الرواية السادسة: وفيها عظم (الكليني) أمر البداء، وجعله بأجرين لمن قال به على الله، فروى عن الإمام جعفر –عليه السلام– قال: "إذا حدثناكم الحديث فجاء على ما حدثناكم به فقولوا: صدق الله، وإذا حدثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به فقولوا: صدق الله؛ تؤجروا مرتين"(٣).

ثم فسر (مولى محمد صالح المازندراني) شارح الكافي قوله (تؤجروا مرتين)، فقال: "مرة للتصديق الأول، ومرة للتصديق الثاني وكلاهما حق، وذلك كما إذا أخبر بموت زيد في وقت كذا ولم يمت فيه، فإن ظهور خلافه يشعر بأن موته في ذلك الوقت كان متعلقًا بشرط في علم الله تعالى وكان غير محتوم به، فلما لم يتحقق ذلك الشرط لم يمت وليس ذلك الإخبار كذبًا؛ إذ هو مقيد في نفس الأمر إذا لم يتعلق بأمر حتمي، وقد ذكرنا في باب البداء ما يوضحه"(٤).

٤. محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، فقد روى عن جعفر الصادق أنه قال: "مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا حَتَّى يَأْخُذَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ خِصَالٍ : الْإِقْرَارَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ،وَ خَلْعَ الْأَنْدَادِ، وَأَنَّ اللَّهَ يُقَدِّمُ مَا يَشَاءُ وَ يُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ"(٥).

---

(١) الكافي للكليني: ١/ ١٤٨ الرواية (١١).

(٢) الكافي للكليني: ١/ ١٤٨ الرواية (١٢).

(٣) الكافي للكليني: ١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩.

(٤) شرح أصول الكافي مولي محمد صالح المازندراني: ٦/٣٣٤.

(٥) التوحيد لابن بابويه القمي: صـ ٣٣٤.

ثم سرعان ما ينقلب ابن بابويه في نفس الصفحة ونفس الكتاب (التوحيد) الذي دلل في رواياته على معتقد البداء، فيستدل براوية تنفي القول بالبداء، روى بسنده عن منصور بن حازم قال: سألت أبا عبد الله – عليه السّلام – هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله تعالى بالأمس؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى، قبل أن يخلق الخلق"[١].

فهل يريد بهذا الأمر التلبيس على الناس؟!!، أم يهدف لنفي عقيدة البداء عند الشيعة؟!، الحق هذا أمر محير، لأنه أورد بعدها جملة من الروايات كلها تؤصل لعقيدة البداء.

ثم حاول (ابن بابويه) أن يوفق بين النسخ والبداء مُدعيًا أنهما واحد، فقال: "أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله، أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه، وذلك مثل نسخ الشرائع، وتحويل القبلة، وعدة المُتوفى عنها زوجها"[٢].

ثم حاول مرة أخرى أن يؤصل لعقيدة البداء فقال: "البداء ليس من ندامة وإنما هو ظهور أمر، تقول العرب: بدا لي شخص في طريقي أي: ظهر، ومتى ظهر لله –تعالى– ذكره من عبد صلته رحمه زاد في عمره، ومتى ظهر منه قطيعة لرحمه تنقص من عمره"[٣].

والحق: أنه بهذا القول يحاول أن يُلبس على عوام الشيعة مفهوم البداء، فهو مخالف للنسخ؛ لأن النسخ كما هو معلوم أنه تخفيف من الله تعالى على عباده، ويكون برفع حكم واستبداله بآخر، وليس معناه جهل الحكم أو خطأ المشيئة الكونية كما يدعي الشيعة، وفي الآية الكريمة: (مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[٤]، والمعنى هنا كما ذكر (ابن كثير) في تفسيره نقلًا لآراء كبار المفسرين من

---

(١) التوحيد لابن بابويه القمي: صـ ٣٣٤.

(٢) التوحيد لابن بابويه القمي: صـ ٣٣٥.

(٣) التوحيد لابن بابويه القمي: صـ ٣٣٦.

(٤) سورة البقرة : آية ١٠٦ .

الصحابة والتابعين وكبار المفسرين قبله فقال: " قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس : (ما ننسخ من آية) ما نبدل من آية .
وقال ابن جريج، عن مجاهد : (ما ننسخ من آية) أي : ما نمح من آية .
وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد : (ما ننسخ من آية) قال : نثبت خطها ونبدل حكمها. حدث به عن أصحاب عبدالله بن مسعود، وقال ابن أبي حاتم : وروي عن أبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي، نحو ذلك .
وقال الضحاك : (ما ننسخ من آية) ما ننسك .
وقال عطاء : أما (ما ننسخ) فما نترك من القرآن . وقال ابن أبي حاتم : يعني : ترك فلم ينزل على محمد صلى الله عليه وسلم .
وقال السدي : (ما ننسخ من آية) نسخها : قبضها . وقال ابن أبي حاتم : يعني : قبضها: رفعها، مثل قوله : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة.
وقال ابن جرير : (ما ننسخ من آية) ما ينقل من حكم آية إلى غيره فنبدله ونغيره، وذلك أن يحول الحلال حرامًا والحرام حلالًا والمباح محظورًا، والمحظور مباحًا، ولا يكون ذلك إلا في الأمر والنهي والحظر والإطلاق والمنع والإباحة، فأما الأخبار فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ . وأصل النسخ من نسخ الكتاب، وهو نقله من نسخة أخرى إلى غيرها، فكذلك معنى نسخ الحكم إلى غيره، إنما هو تحويله ونقل عبادة إلى غيرها، وسواء نسخ حكمها أو خطها، إذ هي في كلتا حالتيها منسوخة .
وأما علماء الأصول فاختلفت عباراتهم في حد النسخ، والأمر في ذلك قريب؛ لأن معنى النسخ الشرعي معلوم عند العلماء، ولخص بعضهم: أنه رفع الحكم بدليل شرعي متأخر، فاندرج في ذلك نسخ الأخف بالأثقل، وعكسه، والنسخ لا إلى بدل .
وأما تفاصيل أحكام النسخ وذكر أنواعه وشروطه؛ فمبسوط في فن أصول الفقه،... وكان الزهري يقرؤها : (ما ننسخ من آية أو ننسها) بضم النون خفيفة،..وقوله تعالى : (أو ننسها) فقرئ على وجهين : "ننسأها وننسها" . فأما من قرأها : "ننسأها" بفتح النون والهمزة بعد السين فمعناه: نؤخرها. قال

علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس : (ما ننسخ من آية أو ننسئها) يقول : ما نبدل من آية، أو نتركها لا نبدلها""[١].

وعلى هذا يتضح أن النسخ غير البداء عند الشيعة، فالبداء متعلق بالجهل والخطأ، والنسخ بمعنى المحو أو التخفيف، وكلام الله لا يتبدل وذلك لعموم قول الله تعالى : (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)[٢]، فكلمات الله تامة لا تتبدل ولا تتغير، فالإخبار بها صدق، والحكم بها عدل، كما دلت الآية.

٥. محمد بن محمد بن العمان العكبري البغدادي المسمى بالمفيد (ت ٤١٣هـ)، قال في أوئل المقالات: "واتفقوا -يقصد الشيعة الإمامية- على إطلاق لفظ البداء في وصف الله، وإن كان ذلك من جهة السمع دون القياس، وأجمعت المعتزلة، والخوارج، والزيدية، والمرجئة، وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية في جميع ما عددناه"[٣].

ثم قال في موضع آخر: "أقول في البداء ما يقوله المسلمون بأجمعهم في النسخ وأمثاله من الإفقار والإغناء، والإمراض بعد الإعفاء، والإماتة بعد الإحياء، وما يذهب إليه أهل العدل خاصة من الزيادة في الأرزاق والنقصان منها بالأعمال"[٤].

وهذا الكلام هو ضرب من الفلسفة العقيمة التي لا تزيد هذا الاعتقاد عند الشيعة إلا نقدًا، فإن الله تعالى قدر الأرزاق، وقدر الحياة والوفاة، ولا دخل لهذا بالبداء، والرزق بيد الله وحده ولا ينقص من رزق العبد شيئًا، ولا يؤخر عمر العبد لأقل من لحظة أو ما دون ذلك، قال تعالى في شأن الرزق : {وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}[٥]، وقال تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ

---

(١) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ١/٣٧٥ ـ ٣٧٦.
(٢) سورة الأنعام : آية ١١٥ .
(٣) أوائل المقالات للمفيد: صـ ٤٨ ـ ٤٩.
(٤) أوائل المقالات للمفيد: صـ ٨١.
(٥) سورة الأنعام : آية ٦ .

وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ}[١]، والآجال بيد الله والله تعالى لا يُؤجر أجل المخلوق ساعة ولا يُقدمه، قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ}[٢]، قال تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}[٣]

٦. علي بن أحمد الحسين بن موسى الموسوي المعروف بالشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ)، ويمثل موقفه موقفًا مُحيرًا فهو يتردد بين النفي والإثبات إن صح التعبير؛ ومع ذلك فظاهر كلامه أنه مع هذا الفريق الذي يعتقد بعقيدة البداء، فذكر في تعريف البداء ما نصه: "المسألة الخامسة (مسألة البداء وحقيقته)....، أما البداء في لغة العرب: هو الظهور، من قولهم: بدا الشيء، إذا ظهر وبان، والمتكلمون تعارفوا فيما بينهم أن يسموا ما يقتضي هذا البداء باسمه، فقالوا: إذا أمر الله تعالى بالشيء في وقت مخصوص على وجه معين بمكلف واحد، ثم نهى عنه على هذه الوجوه كلها، فهو بداء، .... البداء على ما حددناه لا يجوز على الله -تعالى-؛ لأنه عالم بنفسه لا يجوز له أن يتجدد كونه عالمًا، ولا أن يظهر له من المعلومات ما لم يكن ظاهرًا"[٤].

وفي موضع آخر يقول: "البداء: هو الأمر بالفعل الواحد بعد النهي عنه، أو النهي عنه بعد الأمر به مع اتخاذ الوقت والوجه والآمر والمأمور"[٥].

ويمثل هذا النص هدمًا لعقيدة البداء عند الشيعة، فرفض (المرتضى) في النص السابق أن يرمي الله بتأخر العلم أو ظهوره فجأة له، فعلم الله قديم لا يتجدد، وهذا كلام يُحمدُ عليه، وقد وافق فيه جمهور أهل السنة والجماعة.

ثم نجد أنه قد حاد عن هذا الأمر مرة أخرى في توجيه آخر له؛ فأثبت البداء لله -تعالى-، وجعله مقابل النسخ، فقال: "إذا سمينا من ظهر له من

(١) سورة الذاريات : الآيتان ٢٢-٢٣ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٤٥.

(٣) سورة الأعراف : آية ٣٤.

(٤) رسائل المرتضى للشريف المرتضى، المجموعة الأولى، صـ ١١٦.

(٥) رسائل المرتضى للشريف المرتضى، المجموعة الثانية، صـ ٢٦٤.

المعلومات ما لم يكن ظاهرًا، حتى اقتضى ذلك أن يأمر بنفس ما نهى عنه، أو ينهى عن نفس ما أمر به، أنه قد بدا له، لم يمتنع أن يسمى الأمر بعد النهي والحظر بعد الإباحة على سبيل التدريج، فإنه بداء له؛ لأنه ظهر له من الأمر ما لم يكن ظاهرًا، وبدا له ما لم يكن بائنًا بمعنى البداء، والذي هو الظهور والبروز حاصل في الأمرين، فما المانع على مقتضى الاشتقاق أن يُسمى الأمرين بداءً؛ لأن فيهما ظهور أمر لم يكن ظاهرًا"[١].

والحق: أن هذا النص يُمثل خلاصة معتقد الشيعة في البداء؛ وهو بذلك لم يستطع أن ينخلع من القول بالبداء، لكنه أراد أن يصرف معنى البداء عن المعنى المتبادر للذهن؛ فوقع في إشكالية أخرى، ولم تساعده فلسفته في صرف معتقد الإمامية في البداء عن المعنى المعروف عندهم، ولذا فالفرق يبدو واضحًا بين النسخ والبداء كما سبق بيانه عند المفسرين، فما علاقة النسخ بالبداء إذن عند الإمامية؟!.

٧. محمد بن علي بن عثمان الكراجكي (ت ٤٤٩ هـ)، قال معرفًا للبداء: "البداء أن يأمر –الله– بفعل الشيء في وقت، فإذا أتى ذلك الوقت؛ نهى عنه فيه بعينه، قبل أن يفعل، ويكون هذا البداء"[٢].

لم يكتف (الكراجكي) بهذا التعريف بل عقد مناظرة موسعة بينه وبين أحد علماء المعتزلة، وقد قال فيها بالبداء وبين أنه معتقد الشيعة، وإن السبب الرئيس لرفض القول بالبداء يكمن في ظن أصحابه أنه يفضي إلى القول: بأن الله تعالى علم ما لم يكن يعلم، وبدا له مالم يكن يظهر، ولذا فإن استطاع القائل به أن يدحض هذه الشبهة، ويبطل ذلك الزعم؛ فقد زال الإشكال، وصار الخلاف لفظيًا، ولا مشاحة في الاصطلاح.

<u>وقد تمسك الرافضون للقول بالبداء في حق الباري –سبحانه– بذلك الزعم، وفحواه ما يلي:</u>

إن القول بالبداء يقتضي ظهور أمر لله تعالى كان مستورًا عنه، وهذا يعني أنه قد تجدد له العلم بما لم يكن به عالمًا؛ إذ البداء هو الظهور.

---

(١) رسائل المرتضى للشريف المرتضى، المجموعة الأولى، صـ ١١٧.

(٢) كنز الفوائد للكراجكي: ١/٢٦.

وما قاله هؤلاء لا يؤيده الشاهد حتى نسلم لهم بما قالوا؛ إذ لو أراد رجل أن يختبر حال عبده معه، وطاعته له من معصيته، ونشاطه من كسله، فأمره بفعل شيء معين؛ فرأى من عبده الامتثال لأمره، والمسارعة في تنفيذ ما كلف به؛ فشكر له صنيعه، وقال له: قد عرفت مبادرتك وامتثالك؛ فأقم على حالك، وهذا قريب مما حدث لخليل الرحمن؛ فإن المعنى الجائز للبداء في حق الباري سبحانه وتعالى ما كان أقرب إلى قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام لما أمر بذبح ولده إسماعيل عليه السلام، فما أسلما وسارعا في تنفيذ ما أمرا به رضًا بقضاء الله وتسليمًا؛ نهى الله تعالى إبراهيم عن ذبح ولده عليهما السلام، وأثنى عليهما، وخلد جميل صنيعهما في كتابه العزيز[١].

ويمكن القول: إن (الكراجكي) يعتقد بالبداء بمفهوم الإظهار وليس الظهور، ودليل ذلك: ما ذكره من خلال مناظرته مع الرجل المعتزلي، فقد ضرب مثالًا بالسيد والعبد؛ وأن السيد يعلم ما سيفعله العبد، ولكنه بدا له أن يُظهرَ هذا للحضور، فالسيد هنا هو صاحب البداء، وجاء بقصة سيدنا إبراهيم مع ولده الذبيح مقارنًا بينهما، والسؤال ههنا: ما العلاقة بين مفهوم البداء والقصة التي ساقها (الكراجكي) وبين استشهاده أيضًا بقصة الذبيح -عليه السلام-؟!

والجواب على هذا السؤال: لا توجد علاقة أبدًا بين البداء والقصة المذكورة فما علاقة البداء بالسيد والعبد؟، وما علاقة ذلك بالآيات الواردة في المناظرة التي أطال في سردها دون فائدة؟، لكن المغزى من هذا السرد المطول: أن يرسخ لعقيدة البداء في أذهان الشيعة فلبس على عوامهم وعدم المتخصصين منهم هذا الزعم؛ محاولًا الدفاع عنه من خلال آيات القرآن.

إذن لم يستطع مراجع الشيعة نفي القول بالبداء، ولا إنكار تلك العقيدة، وكل ما فعلوه أنهم حاولوا أن يسوغوه بأدلةٍ لم تسلم لهم، كما حاولوا الخلط بينه وبين النسخ، والفرق بينهما واضح، وقد بيناه.

---

(١) كنز الفوائد للكراجكي: ١/٢٢٧-٢٣٢ بتصرف واختصار.

المبحث الثالث :

موقف المدرسة الأشعرية من عقيدة البداء عند الشيعة الإمامية

أولًا: صفة العلم وعلاقتها بالبداء:

البداء يُمثل الجهل كما سبق بيانه عند الشيعة الإمامية، وبخاصة عند أساطين الشيعة الأوائل، وعلم الله مطلق –سبحانه وتعالى– لا يُوصفُ ولا يُحدُ، ولا يغيب عنه ذرة من شيء، قال تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}(١).

وصفة العلم تحدث عنها الإمام (الباقلاني ت ٤٠٣هـ) مفرقًا بين علم الله –سبحانه وتعالى– وعلم المخلوقين، فقال: "العلوم تنقسم قسمين: قسم منهما: علم الله سبحانه، وهو صفته لذاته، وليس بعلم ضرورة ولا استدلال، قال الله تعالى: {أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ}(٢)، وقال:{ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ}(٣)، وقال: {فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ}(٤)؛ فأثبت العلم لنفسه، ونص على أنه صفة له في نص كتابه.

والقسم الآخر: علم الخلق. وهو ينقسم قسمين: فقسم منه علم اضطرار، والآخر علم نظر واستدلال: فالضروري: ما لزم أنفس الخلق لزومًا لا يمكنهم دفعه والشك في معلومه؛ نحو العلم بما أدركته الحواس الخمس، وما ابتدي في النفس من الضرورات.

والنظري: منهما: ما احتيج في حصوله إلى الفكر والروية، وكان طريقه النظر والحجة. ومن حكمه: جواز الرجوع عنه، والشك في متعلقه"(٥).

وبهذا السياق أيضًا ذكر الإمام (الباقلاني) في كتابه (التمهيد) ما حاصله: "علم قديم: وهو علم الله –عز وجل–، وليس بعلم ضرورة ولا

---

(١) سورة الأعراف : آية ٣٤.
(٢) سورة النساء : آية ١٦٥ .
(٣) سورة فاطر : آية ١١ .
(٤) سورة هود : آية ١٤ .
(٥) الإنصاف للباقلاني، صـ١٣.

استدلال، وعلم محدث وهو كل ما يعلم به المخلوقون من الملائكة والجن والإنس وغيرهم من الحيوان"(١).

ويعرف الإمام (الجويني ت ٤٧٨هـ) العلم الإلهي، فيقول: "العلم القديم صفة الباري تعالى القائم بذاته، المتعلق بالمعلومات غير المتناهية، الموجب للرب –سبحانه وتعالى– حكم الإحاطة المتقدس عن كونه ضروريًا أو كسبيًا"(٢).

ويقول الإمام (الغزالي ت ٥٠٥هـ): "تدعي أن الله تعالى عالم بجميع المعلومات الموجودات والمعدومات؛ فإن الموجودات منقسمة إلى قديم وحادث، والقديم ذاته وصفاته ومن علم غيره فهو بذاته وصفاته أعلم؛ فيجب ضرورة أن يكون بذاته عالمًا وصفاته إن ثبت أنه عالم بغيره. ومعلوم أنه عالم بغيره؛ لأن ما ينطلق عليه اسم الغير فهو صنعه المتقن، وفعله المحكم المرتب، وذلك يدل على قدرته على ما سبق؛ فإن من رأى خطوطًا منظومة تصدر على الاتساق من كاتب ثم استراب في كونه عالمًا بصنعة الكتابة؛ كان سفيهًا في استرابته، فإذًا قد ثبت أنه عالم بذاته وبغيره"(٣).

فعلم الله –سبحانه وتعالى– صفة أزلية قديمة قائمة بذاته تعالى، تنكشف بها المعلومات انكشافًا تامًا لم يسبقه خفاء، ودليل ذلك قول الله تعالى : (وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(٤)، وقوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)(٥) إذًا فإنه لا يمكن أن يجتمع البداء مع صفة العلم الإلهي أبدًا، فالله سبحانه وتعالى علمه علم مطلق يعلم ما كان وما هو كائن وما سيكون لا حد لعلمه، فيعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، قال تعالى : (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (٦).

---

(١) التمهيد للباقلاني، صـ٢٦.
(٢) الإرشاد للجويني، صـ١٣ ـ ١٤.
(٣) الاقتصاد للغزالي، صـ ٦٠.
(٤) سورة البقرة : آية ٢٨٢.
(٥) سورة الحشر : آية ٢٢.
(٦) سورة غافر : آية ١٩.

ثانيًا: أقوال العلماء في البداء

والحق: إن هذه المسألة -أعني رفض القول بالبداء- قد لاقت دفاعًا من المدرسة الأشعرية وبخاصة في كتب الكبار قديمًا؛ لأن دأبهم هو تنزيه الله -تعالى- عن كل نقص، أو عن كل ما لايليق بذات الله -تعالى-، وأثبتوا صفة العلم الكلي لله -تعالى-، ونبدأ بالإمام المؤسس -أبي الحسن الأشعري-رحمه الله تعالى-.

١. موقفُ الإمامِ المؤسسِ (أبي الحسن الأشعري) -رحمه الله- من البداء عند الشيعة، بعد أن بين فرقهم، وما وقعوا فيه من الغلو، بين اعتقادهم في البداء -تعالى الله عن قولهم-.

فقال -رحمه الله- مبينًا أصنافهم، ناعتهم بالروافض: "في ذكر غلاة الرافضة -يعني الشيعة- قال -رحمه الله-: "الكلام على غلاة الرافضة........، وكل الروافض إلا شرذمة قليلة يزعمون أنه يريد الشيء ثم يبدو له فيه،.....وافترقت الرافضة هل البارىء يجوز أن يبدو له إذا أراد شيئًا أم لا على ثلاث مقالات:

فالفرقة الأولى منهم يقولون: إن الله تبدو له البداوات، وأنه يريد أن يفعل الشيء في وقت من الأوقات، ثم لا يحدثه لما يحدث له من البداء، وأنه إذا أمر بشريعة ثم نسخها فإنما ذلك؛ لأنه بدا له فيها، وأن ما علم أنه يكون ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه؛ فجائز عليه البداء فيه، وما اطلع عليه عباده؛ فلا يجوز عليه البداء فيه.

والفرقة الثانية منهم يزعمون: أنه جائز على الله البداء فيما علم أنه يكون حتى لا يكون، وجوزوا ذلك فيما اطلع عليه عباده، وأنه لا يكون كما جوزوه فيما لم يطلع عليه عباده.

والفرقة الثالثة منهم يزعمون: أنه لا يجوز على الله عز وجل البداء وينفون ذلك عنه -تعالى-[1].

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٠٢/١ ـ ١٠٩.

ثم بين -رحمه الله تعالى- اعتقادهم في قضية النسخ في القرآن، ثم وصف غلاة الشيعة بالشذوذ الاعتقادي بمخالفتهم للاعتقاد الصحيح باعتقادهم في البداء، وأن هذا الشذوذ العقدي لا يتفق والعقول السليمة، ولا العقيدة الصحيحة، وأنهم قد أوجبوا على الله البداء، وإن كانوا قد اختلفوا على قولين:

القول الأول: منهم من جعل نسخ القرآن يكون من قبيل الأئمة المعصومين حسب زعمهم، وأن الله لا يجب عليه البداء.

القول الثاني: من أوجب على الله البداء، ويجب على الناس قبول هذا المعتقد؛ ليصير إيمانهم صحيحًا، وهؤلاء هم شواذ الاعتقاد.

وهذا نص كلام الإمام الأشعري -رحمه الله تعالى-:"وقد شذَّ شاذون من الروافض عن جملة المسلمين؛ فزعموا أن نسخ القرآن إلى الأئمة، وأن الله جعل لهم نسخ القرآن وتبديله، وأوجب على الناس القبول منهم، وهؤلاء الذين ذكرنا قولهم طبقتان؛ منهم: من يزعم أن ذلك ليس على معنى أن الله يبدو له البدوات.

وقالت الفرقة الأخرى منهم: إن الله لا يعلم ما يكون حتى يكون؛ فينسخ عند علمه بما يحدث من خلقه وفيهم مما لم يكن يعلمه ما يشاء من حكمه قبل ذلك، فتحول حكمه في الناسخ والمنسوخ على قدر علمه بما يحدث في عباده، فكلما علم شيئًا كان لا يعلمه قبل ذلك؛ بدا له فيه حكم لم يكن له ولا علمه قبل ذلك، -تعالى- الله عما قالوه علوًا كبيرًا"[1].

وبعد هذه المنافحة في تنزيه الباري -سبحانه وتعالى- لم يسلم الإمام المؤسس من ألسنة مراجع الشيعة المعاصرين، فنجد أن (جعفر السبحاني) أحد مراجع الشيعة الإيرانيين يشنع على الشيخ المؤسس فيقول: "قال الإمام الشيخ أبو الحسن الأشعري: وكل الروافض إلا شرذمة قليلة يزعمون أنه يريد الشيء ثم يبدو له فيه، وفسره المحقق المعلق: أي يظهر له وجه المصلحة

---

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ٢٥٣/٢ - ٢٥٤.

بعد خفائه عليه؛ فيتغير رأيه[١]، هذا وقال بعد صفحتين: افترقت الرافضة هل الباري يجوز أن يبدو له إذا أراد شيئًا أم لا؟، على ثلاث مقالات، ثم فصل المقالات"[٢].

أقول –يكمل السبحاني–: إن الإمام الأشعري لو كان واقفًا على عقيدة الشيعة التي دونها معاصره المحدث الكليني المتوفى عام ٣٢٨هـ، أي: قبل الشيخ الأشعري بسنتين[٣]؛ لما نسب تلك الأكذوبة إلى الشيعة الإمامية، مع أنه ينسب البداء بالمعنى الباطل إلى كل الشيعة ويأتي بخلافه بعد صفحتين ويقول: "والفرقة الثانية منهم يزعمون أنه لا يجوز وقوع النسخ في الأخبار، وأنه يخبر الله –سبحانه– أن شيئًا يكون ثم لا يكون؛ لأن ذلك يوجب التكذيب في أحد الخبرين"[٤].

ويمكن القول: إن الشيخ السبحاني الشيعي قد وقع في مغالطة يبدو أن اعتقاد التقية عندهم يتصدر المشهد عند وقوعهم في حرج علمي؛ فلقد أوردت في مطلع البحث عند حديثي عن البداء عند الشيعة روايات البداء عند المحدث (الكليني) كما نعته (السبحاني) بالمحدث، ولقد جاء كتابه (الكافي) كأكبر كتاب ضم بين دفتيه روايات البداء، حيث أورد في كتابه (الكافي) ست عشرة رواية كلها تحت عنوان (البداء) وجعل (البداء) أصلًا من أصول الإيمان عندهم، حتى قال أحد باحثي الشيعة ما نصه: "لقد روى الكليني في باب البداء ست

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٠٧/١ في الحاشية، ويقصد بالمعلق: الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٢) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ١/ ١٠٩.

(٣) مختلف في سنة وفاة الإمام المؤسس (الأشعري) فقيل إنه توفي ٣٢٠ هـ، وقيل سنة ٣٣٠ هـ، وقيل سنة ٣٢٤ هـ كما جزم بذلك تلميذه ابن فورك –رحمه الله تعالى–، ونقل هذا الشيخ ابن عساكر –رحمه الله تعالى–، راجع: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، صـ ١٤٦–١٤٧، وجاء في وفيات الأعيان: "والأصح أنه مات سنة أربع وعشرين، وكذلك ذكره أبو بكر ابن فورك"، وفيات الأعيان، ابن خلكان (المتوفى: ٦٨١هـ)، ٢٨٥/٣.

(٤) البداء في ضوء الكتاب والسنة، جعفر السبحاني، تعريب: جعفر الهادي، صـ ٩–١٠.

عشرة رواية، وجاء في بعضها أن الإقرار والاعتراف لله بالبداء من الايمان، وفي بعضها الآخر أن الإيمان لا يتم بدونه، وأنه من أفضل العبادات"[١]، ولن نذكر الروايات كلها بل سنقتصر على بعض منها، فقد سبق سرد جُلها في الحديث عن البداء عند الكليني:

١- "عن زرارة بن أعين، عن أحدهما -عليهما السلام- قال: ما عبد الله بشيءٍ مثل البداء. وفي رواية ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله -عليه السلام- ما عُظِّمَ اللهُ بمثل البداء"[٢].

٢- "عن أبي عبد الله -عليه السلام- قال: "ما تنبأ نبي قط، حتى يقر لله بخمس خصال: بالبداء والمشيئة والسجود والعبودية والطاعة"[٣].

٣- عن الرضا -عليه السلام- قال: "ما بعث الله نبيًّا قطّ إلّا بتحريم الخمر وأن يقرّ له بالبداء"[٤].

٤- وفيها عظم (الكليني) أمر البداء وجعله بأجرين لمن قال به على الله، فروى عن الإمام جعفر -عليه السلام- قال: "إذا حدثناكم الحديث فجاء على ما حدثناكم به فقولوا: صدق الله، وإذا حدثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به فقولوا: صدق الله تؤجروا مرتين"[٥].

ولا أعلم هل يريد السبحاني أن يُنكرَ عقيدة البداء؟!، أم يريد أن يخرج من الأزمة العالقة بسبب هذا المعتقد الذي ينال من الله -سبحانه وتعالى- عندهم!، فهو الآن بين أمرين أيهما أشد من الآخر:

الأمر الأول: لعله أراد التدليس حتى يغرر بعوام الشيعة، أو طلاب الحوزات العلمية، أو أراد أن يظهر للمخالف مدى مطابقة العقيدة الشيعية للعقيدة السنية، وأنها لا تختلف عنها، أو أنه أراد أن يُظهر للغير مدى تجني علماء أهل السنة والجماعة على الشيعة.

---

(١) دراسات في الكافي للكليني، والصحيح للبخاري، هاشم معروف، صـ ٢٢٠.

(٢) الكافي للكليني: ١/ ١٤٦.

(٣) الكافي للكليني: ١/ ١٤٦.

(٤) الكافي للكليني: ١/١٤٨، التوحيد لابن بابويه: صـ٣٣٤، بحار الأنوار: ٤/١٠٨

(٥) الكافي للكليني: ١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩.

الأمر الثاني: لعله كان جاهلًا بعقيدة القوم رغم أنه يُعد من أكبر مراجع الشيعة المعتمدين حاليًا وهو ما زال على قيد الحياة حتى الآن.

وهذا الأمر الثاني في منتهى الخطورة فهو لا يريد أن يتكلف عناء البحث؛ أو ظن أنه بذلك سينجو من المآخذ التي تؤخذ على عقيدة الشيعة، وهو الذي أحالنا إلى كتاب الرجل، وهذه الروايات جاءت متعاقبة عنده في كتابه الكافي.

وقوله: إن الإمام الأشعري ينسب البداء لكل الشيعة..، فهذا محض تدليس منه، فإن الإمام ذكر أن الشيعة اختلف فرقها على ثلاث مقالات، منهم من أثبت لله البداء، والفرقة الثانية منهم يزعمون: أنه جائز على الله البداء فيما علم أنه يكون حتى لا يكون، وجوزوا ذلك فيما اطلع عليه عباده، وأنه لا يكون كما جوزوه فيما لم يطلع عليه عباده.

والفرقة الثالثة منهم يزعمون: أنه لا يجوز على الله عز وجل البداء وينفون ذلك عنه –تعالى–[١].

وبذلك لم ينسب البداء للجميع، بل بين اعتقادهم في البداء؛ فهم بين الإثبات والمنع والتوسط.

ثم ختامًا: نجدُ أنه قد وصف الإمام المؤسس بالجهل بعقيدة الشيعة، ثم أخذ على نفسه العهد أنه سيظهر في كتابه هذا وفي أبحاثه مدى عدم مصداقية مارماهم به الإمام الأشعري وبطلان أقواله عنهم، بل زاد على ذلك فاتهمه بالتعصب، فقال: "وسيوافيك إن شاء الله في سائر أبحاثنا الكلامية أن جُلّ ما نسب إليهم الإمام الأشعري في كتابه هذا باطل، فإذا كان الأقطاب من الجانبين على طرفي نقيض من الرأي والموقف بالنسبة إلى مسألة واحدة فما هي وظيفة المبتدئ! ومن ليس له إلمام بالأبحاث الكلامية، ولا قدم راسخة في المسائل الاعتقادية.

وخلاصة القول: إن الإنسان ليحتار أشد الحيرة وهو يواجه هذا التناكر والاختلاف في أصل واحد، إذ كيف يمكن أن يكون أصل واحد بمعنى واحد، آية توحيد الله وكماله في الخلق والإيجاد عند طائفة، وإنكارًا لعلمه –سبحانه– عند

---

(١) مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ١/١٠٢ ـ ١٠٩.

طائفة أخرى، هل يمكن أن يكون التفاوت إلى هذه الدرجة أمرًا صحيحًا وطبيعيًا؟!.

أم أن هذا يكشف عن أن الأمر قد دُرِسَ في جو من التعصب، وعدم التحقيق ويكشف في نفس الوقت عن أن أكثر المسائل الخلافية نشأت من مثل هذا المنطلق، وعولِجت في مثل هذا الجو الذي يُنافي مصلحة التحقيق، والبحث الموضوعي في القضايا الفكرية والاعتقادية.

غير أن القارئ الكريم إذا نظر إلى ما سيمر عليه في هذه الصحائف يقف على أن النزاع القائم على قدم وساق في هذا المجال، قد نشأ عن عدم تعمق المخالف في مسألة البداء، وعدم وقوفه على نفس ما يدعيه الطرف الآخر، ولو وقف على مراده ومقصده؛ لاتفق معه في هذه المسألة، ولقال: إن البداء بهذا المعنى هو عين ما نطق به الكتاب العزيز، وتحدثت عنه السنة النبوية، وأذعن به جهابذة العلم من أهل السنة"(١).

<u>والملاحظ في هذه النصوص ما يلي</u>:

أولًا: السبحاني يتهم الإمام الأشعري بعدم معرفته بعقيدة الشيعة.

ثانيًا: يدعي أن جُلَ ما نقله الإمام الأشعري عن الشيعة ليس حقيقيًا بل محض باطل.

ثالثًا: رميه الإمام الأشعري ومدرسته بالتعصب في إطلاق الأحكام.

رابعًا: جزمه بعدم البحث الموضوعي للقضايا الفكرية والاعتقادية عند المدرسة الأشعرية

خامسًا: إنكاره للبداء في النص السابق؛ ثم إثباته للبداء مرة أخرى.

سادسًا: ادعاؤه أن البداء ثابت بالقرآن والسنة وأقوال علماء أهل السنة.

٢. الإمام الجويني . (ت ٤٧٨ هـ)، ويُعدُ -رحمه الله تعالى- من أكثر علماء المدرسة الأشعرية تفنيدًا لهذا المعتقد الضال، فبدأ -رحمه الله تعالى- بالحديث عن تعريف البداء، وبين أن من معانيه: الظهور بعد الخفاء، والعجز، والشر، والندم، والتأسف، والتلهف.

---

(١) البداء في ضوء الكتاب والسنة، جعفر السبحاني، صـ ١٠-١١.

وهذا نص كلامه -رحمه الله-: "حقيقة البداء ومعناه فهو: استدراك علم ما كان خفيًا مع جواز تقدِيرِ العلم به فكل من عثر على علم شيء ابتداء وكان يجوز أن يعلمه قبل ذلك فيقال قد بدا له، وأصل البداء الظهور بعد الخفاء، ومنه قال بدا عجز فلان إذا ظهر، وبدا الطلع إذا طلع، وبدا لكم فلان شره، ومنه قوله تعالى: {وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا}(١)، وقوله تعالى: { يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ}(٢)، وقد يسمى الندم بداء أيضًا والندم من قبيل الإرادات، وهو التلهف والتأسف، فهذا حقيقة البداء"(٣).

استدلاله -رحمه الله تعالى- على فساد معتقد البداء بدليليين عقليين للرد على اليهود والقدرية الذين ينكرون وقوع النسخ، ويقولون: هو كالبداء سواءً بسواءٍ.

الدليل الأول: إن البداء يؤدي إلى أن يعلم ما كان خافيًا عليه، فهذا محال، فإنه -سبحانه وتعالى- لم يزل عالمًا، ولا يزال عالمًا بما كان، وبما يكون، وبما لا يكون، لو كان كيف كان يكون، ولم يثبت الحكم على المكلفين إلا وقد كان عالمًا عند إثباته أنه سينسخه؛ فبطل أن يكون النسخ مقتضيًا استدراك علم أو توصلًا إلى معرفة مكتتم مستتر.

الدليل الثاني: وإن عنيتم بالبداء أنه يصير كارهًا لما كان آمرًا به مريدًا له، ومريدًا لما كان كارهًا له فهذا لا يستقيم على أصول أهل الحق، فإن تكليف العبادة لا ينبني على الإرادة والكراهية، فقد يأمر الرب بما لا يريد وقد ينهي عما يريد، وكل الحوادث مراد لله -تعالى- مع اختلاف صفاتها، وهذا يستقصي في الديانات، فبطل الاسترواح إلى العلم والإرادة"(٤).

وبين إمام الحرمين -رحمه الله تعالى- أن جمهور العلماء من أهل السنة منعوا البداء ورفضوه، وأن الشيعة هم الذين قالوا بالبداء، وأنهم جاءوا بروايات

---

(١) سورة الزمر : آية ٤٨.

(٢) سورة آل عمران : آية ١٥٤.

(٣) التلخيص في أصول الفقه للجويني، المحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري، ٢/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣.

(٤) التلخيص في أصول الفقه للجويني، ٢/ ٤٦٣.

مكذوبة ألصقوها بسيدنا علي -رضي الله عنه- ومن جاء بعده من الأئمة وفق زعمهم، وذلك ليقرروا هذا المعتقد، بل زعموا أن البداء هو أصل دين الأئمة المعصومين ودين آبائهم من قبلهم، ولا شك أن هذا المعتقد يتنافى وتنزيه الله -تعالى-؛ بل يُمثل نقصًا ورميًا بالباطل -تعالى- الله عن إفكهم.

يقول الإمام الجويني -رحمه الله تعالى-: "ذهب الجمهور منهم إلى منع البداء على الله سبحانه وتعالى. ويحكى عن الروافض تجويز البداء على الله سبحانه، وربما يأثرون ذلك عن علي رضي الله عنه بطريق لا يكاد يصح ويروون عنه أنه قال: لولا آية من كتاب الله تعالى قوله: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}[(١)]؛ لأنبأتكم بما يكون إلى يوم القيامة قالوا: فمنعه عن الإخبار بالغيوب تجويزه البداء، ورووا عن جعفر بن محمد أنه قال: ما بدا لله في شيء كما بدا له في ذبح إسماعيل -صلى الله عليه وسلم-[(٢)]، ورووا عن موسى بن جعفر أنه قال: "البداء ديننا ودين آبائنا الأولين".

ولا شك أن هذه الروايات عن علي وعن الأئمة الذين ذكرناهم مختلفة لا تكاد تصح، فهذه جملة المذاهب"[(٣)].

٣. الإمام الغزالي . ت ٥٠٥ هـ، موقف الإمام (الغزالي) من البداء عند الشيعة، ذكر الإمام (الغزالي) في كتابه (المستصفى) موقفه من عقيدة البداء عند الشيعة، فقد بدأ بالتفريق بين النسخ والبداء، ثم بين أن كلام الله القديم أصبح لا يطرأ عليه البداء، وأنه متى كان مستحيلًا فلا يجوز وقوعه، يقول الإمام الغزالي -رحمه الله تعالى-: "وأما النسخ فقد جرت العادة بذكره بعد كتاب الأخبار، لأن النسخ يتطرق إلى الكتاب والسنة جميعًا، لكنَّا ذكرناه في أحكام الكتاب لمعنيين:

١. أن إشكاله وغموضه من حيث تطرقه إلى كلام الله -تعالى- مع استحالة البداء عليه.

---

(١) سورة الرعد : آية ٣٩ .

(٢) وهذه الرواية موجودة في بحار الأنوار للمجلسي: ٤/ ١٠٩.

(٣) التلخيص في أصول الفقه للجويني، ٢/ ٤٦٩ ـ ٤٧٠.

٢. أن الكلام على الأخبار قد طال؛ لأجل تعلقه بمعرفة طُرقها من التواتر والآحاد، فَرَأَيْنَا ذِكْرَهُ عَلَى أَثَرِ أَحْكَامِ الْكِتَابِ أَوْلَى"[١].

وقد عرف الإمام (الغزالي) النسخ فقال: " حَدُّهُ: عبارة عن الرفع والإزالة في وضع اللسان، يُقالُ: نسخت الشمس الظل، ونسخت الرياح الآثار، إذا أزالتها، فنقول: حده أنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتًا به مع تراخيه عنه...."[٢].

ثم استخلص نتيجة هي: "فَلَيْسَ إذًا فِي النَّسْخِ لُزُومُ الْبَدَاءِ، وَلِأَجْلِ قُصُورِ فَهْمِ الْيَهُودِ عَنْ هَذَا أَنْكَرُوا النَّسْخَ، وَلِأَجْلِ قُصُورِ فَهْمِ الرَّوَافِضِ عَنْهُ ارْتَكَبُوا الْبَدَاءَ، وَنَقَلُوا عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ كَانَ لَا يُخْبِرُ عَنْ الْغَيْبِ مَخَافَةَ أَنْ يَبْدُوَ لَهُ تَعَالَى فِيهِ فَيُغَيِّرَهُ، وَحَكَوْا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا بَدَا اللَّهُ فِي شَيْء كَمَا بَدَا لَهُ فِي إسْمَاعِيلَ أَيْ: فِي أَمْرِهِ بِذَبْحِهِ. وَهَذَا هُوَ الْكُفْرُ الصَّرِيحُ وَنِسْبَةُ الْإِلَهِ تَعَالَى إلَى الْجَهْلِ وَالتَّغَيُّرِ"[٣].

فالبداء: هو مقابل للجهل أو ما يغيب عن الله -تعالى، تعالى الله عن قولهم، ولذا فإنهم بحسب ما ذكره الإمام (الغزالي) من إنكارهم للنسخ جوزوا زورًا البداء على الله، واستدلوا بروايات نسبوها زورًا لسيدنا (علي)-رضي الله عنه- ولنسله من بعده[٤]، كلها روايات باطلة كما سبق سردها في المبحث الخاص بهم.

ثم بين الإمام الغزالي -رحمه الله- إشكالية البعض في فهم الآية التي جعلوها عمدتهم في الاستدلال على البداء، وأن مفهوم الآية أن الله تعالى يمحو السيئات بالتوبة، وهكذا يكون نسخ السيئات واستبدالها بالحسنات كنتيجة طبيعية للتوبة، ويكون العكس بمحوه الحسنات بسبب الكفر والردة، وليس معنى الآية البداء كما زعمت الشيعة، وهذا نص كلامه -رحمه الله تعالى-: "وَيَدُلُّ عَلَى اسْتِحَالَتِهِ مَا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَأَنَّهُ لَيْسَ مَحَلًّا

---

(١) المستصفى للغزالي، صـ ٨٦.
(٢) المستصفى للغزالي، صـ ٨٦ ـ ٨٧.
(٣) المستصفى للغزالي، صـ ٨٨.
(٤) المستصفى للغزالي، صـ ٨٨ بتصرف.

لِلْحَوَادِثِ وَالتَّغَيُّرَاتِ. وَرُبَّمَا احْتَجُّوا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}[١]، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يَمْحُو الْحُكْمَ الْمَنْسُوخَ وَيُثْبِتُ النَّاسِخَ أَوْ يَمْحُو السَّيِّئَاتِ بِالتَّوْبَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ}[٢]، وَيَمْحُو الْحَسَنَاتِ بِالْكُفْرِ وَالرِّدَّةِ، أَوْ يَمْحُو مَا تَرْفَعُ إلَيْهِ الْحَفَظَةُ مِنْ الْمُبَاحَاتِ وَيُثْبِتُ الطَّاعَات"[٣].

٤. الإمام الفخر الرازي ت ٦٠٦ هـ، حفل كتاب التفسير الكبير = مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي بتفنيد شبهات اليهود والشيعة حول موضوع البداء، فعنده تعرضه لتفسير قول الله تعالى : {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}[٤]، ذكر تعريف البداء فقال: "قالت الرافضةُ: البداءُ جائزٌ على الله – تعالى–، وهو أن يعتقد شيئًا ثم يظهرُ له أن الأمر بخلاف ما اعتقده"[٥]، وتمسكوا فيه بقوله: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}[٦].

ثم ألزمهم الإمام الفخر الرازي بإلزام عقلي ليس منه أي مخرج سوى تنزيه الله –تعالى– وإنكار هذا المعتقد اليهودي الشيعي؛ مفاد الإلزام: أن علم الله –تعالى– من لوازم ذاته، ولا يمكن أن ينفك العلم عن ذاته، فبطل معتقدهم الفاسد في البداء، والعجيب: أن الإمام (الفخر الرازي) صدر النتيجة أولًا؛ وذلك لقوة الدليل الذي ألزمهم به.

وهذا نص إلزامه: "وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا بَاطِلٌ –يعني البداء–لِأَنَّ عِلْمَ اللَّهِ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ الْمَخْصُوصَةِ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ دُخُولُ التَّغَيُّرِ وَالتَّبَدُّلِ فِيهِ مُحَالًا"[٧].

ثم ذكر الإمام (الفخر الرازي) في خاتمة كتابه (محصل أفكار المتقدمين) كلامًا عن البداء فقال: "إن أئمة الرافضة وضعوا مقالتين لشيعتهم لا يظفر معهما

(١) سورة الرعد : آية ٣٩ .

(٢) سورة هود : آية ١١٤ .

(٣) المستصفى للغزالي، صـ ٨٨.

(٤) سورة الرعد : آية ٣٩ .

(٥) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ٥٢/١٩.

(٦) سورة الرعد : آية ٣٩ .

(٧) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ٥٢/١٩.

أحد عليهم، الأول: القول بالبداء فإذا قالوا: إنه سيكون لهم قوة وشوكة ثم لا يكون الأمر على ما أخبروه قالوا: بدا لله تعالى فيه"[١].

بعد هذين النصين أطلق جعفر السبحاني (المرجع الشيعي المعاصر في إيران) عباراته متهمًا الإمام الفخر الرازي بالجهل بعقائد الشيعة؛ راميًا إياه بعدم الإنصاف في النقد والنقل، قائلًا: "وما حكاه الرازي عن "الرافضة" كاشف عن جهله بعقيدة الشيعة، وإنما سمعه عن بعض الكذابين الأفاكين الذين يفتعلون الكذب لغايات فاسدة، وقد قبله من دون إمعان ودقة، مع أن موطنه ومسقط رأسه بلدة (ري) التي كانت آنذاك مزدحم الشيعة ومركزهم، وكان الشيخ محمود بن علي بن الحسن سديد الدين الحمصي الرازي[٢]- علامة زمانه في الأصوليين - معاصرًا ومواطنًا للرازي وهو مؤلف كتاب "المنقذ من التقليد

---

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، الفخر الرازي، صـ ٢٤٩.

(٢) ترجم له علماء الشيعة فقالوا عنه هو: "الشيخ الإمام سديد الدين محمود بن علي بن الحسن الحمصي الرازي، علامة زمانه في الأصوليين، ورع، ثقة، له تصانيف منها: التعليق الكبير، [التعليق الصغير، المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد المسمى بالتعليق]، وقد تتلمذ في الفقه على الشيخ "حسين بن الفتح"، وقرأ عليه أيضًا "الفخر الرازي" كما ذكر هذا صاحب القاموس، ونسبته لحمص من أعمال الشام حيث يُستظهر من الاسم أنه كان من أهل حِمص، وقيل: حِمص قرية بالرّيّ وهي خراب الآن، ونسبته للري صرح بها الفخر الرازي في تفسيره الكبير فقال: "كان في الري رجل يُقال له: محمود بن الحسن الحِمصي، وكان معلم الإثني عشرية"، من مؤلفاته: ١- المنقذ من التقليد والمرشد إلى التوحيد (التعليق العراقي) ٢- تعليق أهل الرّيّ ٣- المصادر في أُصول الفقه ٤- التبيين والتنقيح في التحسين والتقبيح ٥- بداية الهداية ٦- نقض «الموجز» للنجيب أبي المكارم، اختلفوا في سنة وفاته ولم يجزموا بسنة محددة فمنهم من قال توفي ما بين سنة ٥٩١ هـ حتى ٦٠٠هـ، بيدا أن السبحاني قال: "لكن ابن إدريس في كتابه «السرائر» الذي فرغ من تأليفه سنة (٥٨٩هـ) يترحّم على المترجم في المواضع التي ينقل فيها عنه، ممّا يدلّ على أنّ وفاته كانت قبل هذا التاريخ، وقد عاش نحوًا من مائة سنة"، راجع: التفسير الكبير، الفخر الرازي، ٢٤٨/٨، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، ٩٧/١٩ ـ ٩٨، موسوعة الفقهاء، تأليف: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق، إشراف: جعفر السبحاني، ٣٢٤/٦.

والمرشد إلى التوحيد"، ولو كان الفخر الرازي رجلًا منصفًا؛ لرجع إليه في تبيين عقائد الشيعة، ولما هجم عليهم بسباب مقذع، وربما ينقل عنه بعض الكلمات في تفسيره"[١].

ثم تابع السبحاني نقده واستدل بأن البداء خلاف ما وصل للفخر الرازي وأنه المقصود به زيادة الرزق، وغفران السيئات واستبدالها بالحسنات، ثم أثبت البداء كما فعل مع الإمام المؤسس (أبي الحسن الأشعري).

ولما طالعت كتاب (المنقذ من التقليد لسديد الدين) وجدت أن الرجل لم يتعرض لقضية البداء، لكن هل معنى هذا أن الشيعة الإمامية لا تدين بعقيدة البداء!، وقد سبق وأن ذكرنا في مبحث البداء عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية جملة من اعتقاد علماء المذهب الذين سبقوا (سديد الدين الحمصي)، وهم:

١. الصفار، ٢. القمي، ٣. العياشي، ٤. الكليني، ٥. ابن بابويه القمي، ٦. الشريف المرتضى، ٧. الكراجكي.

فهل يمكن أن نهمل اعتقاد أساطين علماء الشيعة الإمامية، والروايات المتعاقبة التي بلغت حد التواتر عند القوم؟!.

فيمكن لـ(سديد الدين) لم يذكرها في كتابه المنقذ من التقليد وذكرها مثلًا في كتابه التبيين، أو غيره من جملة كتبه، ولماذا لم يستشهد (السبحاني) بواحد ممن سبق ذكرهم من الذين قالوا بالبَدَاء؟!.

ويبدو أن السبحاني قد وقع في مغالطة جديدة؛ فإنه في موضع سابق قد أثبت البداء لله تعالى، بل وألف كتابًا يحمل اسم البداء، أطلق عليه (البداء في ضوء القرآن والسنة)، كما سبق وقال في مقدمته: " غير أن القارئ الكريم إذا نظر إلى ما سيمر عليه في هذه الصحائف يقف على أن النزاع القائم على قدم وساق في هذا المجال، قد نشأ عن عدم تعمق المخالف في مسألة البداء، وعدم وقوفه على نفس ما يدعيه الطرف الآخر، ولو وقف على مراده ومقصده لاتفق معه في هذه المسألة ولقال: إن البداء بهذا المعنى هو عين ما نطق به

(١) مع الشيعة الإمامية في عقائدهم، جعفر السبحاني، صـ ١٠٤ ـ ١٠٥.

الكتاب العزيز، وتحدثت عنه السنة النبوية، وأذعن به جهابذة العلم من أهل السنة"[١].

٥. سيف الدين الآمدي (٥٥١ هـ - ٦٣١ هـ)، ويُعد الإمام الآمدي -رحمه الله تعالى- من أكثر أئمة المدرسة الأشعرية تفنيدًا لهذا المعتقد اليهودي الشيعي، فقد بدأ -رحمه الله تعالى- بتعريفه فقال: "واعلم أن البداء عبارة عن الظهور بعد الخفاء، وَمِنْهُ يُقَالُ: بَدَا لَنَا سُورُ الْمَدِينَةِ بَعْدَ خَفَائِهِ، وَبَدَا لَنَا الْأَمْرُ الْفُلَانِيُّ، أَيْ ظَهَرَ بَعْدَ خَفَائِهِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ}[٢]، {بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ}[٣]، {وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا}[٤].

وَحَيْثُ كَانَ: "فَإِنَّ النَّسْخَ يَتَضَمَّنُ الْأَمْرَ بِمَا نُهِيَ عَنْهُ، وَالنَّهْيَ عَمَّا أُمِرَ بِهِ عَلَى حَدِّهِ، وَظَنَّ أَنَّ الْفِعْلَ لَا يَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهِ مُسْتَلْزِمًا لِمَصْلَحَةٍ أَوْ مَفْسَدَةٍ"[٥].

ثم فرق الإمام (الآمدي) -رحمه الله- بين النسخ والبداء، وبين أن اليهود بسبب عدم معرفتهم للنسخ وأنواعه؛ خلطوا بين النسخ والبداء، وقد انتهجت الشيعة نهج اليهود في التخليط بين النسخ والبداء، وقد استدل بقول نسبته الشيعة لسيدنا علي -رضي الله عنه- وهو: "لولا البداء؛ لحدثتكم بما هو كائن إلى يوم القيامة"، وأردف -رحمه الله- قائلًا: "ونقلوا عن جعفر الصادق -رضي الله عنه- أنه قال: "ما بدا لله تعالى في شيء كما بدا له في إسماعيل"، أي: في أمر ذبحه، ونقل أيضًا عنهم رواية موسى الكاظم بن جعفر-رضي الله عنه- أنه قال: "البداء ديننا، ودين آبائنا في الجاهلية"[٦]، وتابع الإمام الآمدي

---

(١) البداء في ضوء الكتاب والسنة، جعفر السبحاني، صـ ١٠-١١.

(٢) سورة الزمر : آية ٤٧ .

(٣) سورة الأنعام : آية ٢٨ .

(٤) سورة الجاثية : آية ٣٣ .

(٥) الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، ١٠٩/٣، أبكار الأفكار في أصول الدين، الآمدي، ٦٠/٥.

(٦) الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، ١٠٩/٣-١١٠ بتصرف واختصار.

-رحمه الله تعالى- قائلًا: "وتمسكوا أيضًا بقوله تعالى : {يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ}[١].

الأدلة النقلية عند الإمام الآمدي على فساد معتقد البداء:

ثم ذكر (الآمدي) -رحمه الله تعالى- جملة من الآيات الدالة على نفي البداء ودحضه فقال: "أما النصوص الكتابية فكقوله تعالى: {وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[٢]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ}[٣]، وَقَوْلِهِ: {وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}[٤]، وَقَوْلِهِ {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا}[٥] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ"[٦].

وهذه الآيات تنفي بجلاء معتقد البداء -الجهل- على الباري -سبحانه وتعالى-، وتدل دلالة يقينية على سعة علم الله وعدم حده، فعلمه علم إحاطة وشمول لا يغيب عنه من مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض كما أخبر عن نفسه -سبحانه وتعالى- في القرآن الكريم.

الدليل العقلي عند الإمام الآمدي على فساد معتقد البداء:

ذكر الإمام الآمدي دليلًا عقليًا يدل على فساد عقيدة البداء عند الشيعة مفاده: (لزم على اليهود بناءً على جهلهم بالنسخ إنكار تبديل الشرائع؛ ولزم الروافض -الشيعة- على خلطهم بين النسخ والبداء وصفهم الباري -تعالى- بالجهل مع قطعية النصوص الدالة على علمه، والأدلة العقلية الدالة على استحالة ذلك في حقه، وأنه لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء)[٧].

---

(١) سورة الرعد : آية ٣٩ .

(٢) سورة الحديد : آية ٣ .

(٣) سورة الرعد : آية ٩، سورة السجدة : آية ٦، سورة الحشر : آية ٢٢، سورة التغابن : آية ١٨.

(٤) سورة الأنعام : آية ٥٩.

(٥) سورة الحديد : آية ٢٢.

(٦) الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، ٣/١١٠.

(٧) الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، ٣/١١٠ بتصرف واختصار.

موقف الإمام الآمدي من الروايات الواردة عن الشيعة في الاستدلال على البداء:

رفض الإمام الآمدي الروايات الواردة عن أئمة الشيعة في الاستدلال على البداء؛ وبين أن هذا من زعم الكذاب (الثقفي) المختار بن أبي عبيد الثقفي، وكان من الخوارج ثم صار شيعيًا وإليه تنسب فرقة المختارية من الشيعة، ومن لازم مذهبه القول بالبداء على الله -تعالى-، يقول الإمام (الآمدي): "وما نقلوه عن علي وعن أهل بيته، فمن الأحاديث التي انتحلها الكذاب الثقفي على أهل البيت، فإنه كان يدعي العصمة لنفسه ويخبر بأشياء، فإذا أظهر كذبه فيها قال : إن الله وعدني بذلك غير أنه بدا له فيه، وأسند ذلك إلى أهل البيت؛ مبالغة في ترويج أكاذيبه"[١].

وهكذا قامت المدرسة الأشعرية بدورها في رفض عقيدة البداء عند الشيعة، وبينوا آراءهم، وناقشوا حججهم، وردوا على مزاعمهم، بدايةً من إمام المذهب الإمام أبي الحسن الأشعري، ومرورًا بالإمام الباقلاني، والغزالي، والرازي، والآمدي، وغيرهم، ممن نحا نحوهم ممن جاء بعدهم.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، ٣/١١٠-١١١ بتصرف.

الخاتمــة

وبعد، فإن عقيدة البداء من العقائد التي أحدثت خرقًا في عقيدة الشيعة، فقد اختلفت فرق الشيعة على ثلاث مقالات، منهم من أثبت لله البداء، والفرقة الثانية منهم يزعمون: أنه جائز على الله البداء فيما علم أنه يكون حتى لا يكون، وجوزوا ذلك فيما اطلع عليه عباده، وأنه لا يكون كما جوزوه فيما لم يطلع عليه عباده. والفرقة الثالثة منهم يزعمون: أنه لا يجوز على الله عز وجل البداء وينفون ذلك عنه -تعالى-.

ولقد دافع غير واحد من مراجعهم سلفًا وخلفًا عن هذا الاعتقاد ظنًا منهم أن هذا يعد من قبيل التنزيه لأئمتهم، ونجد أن جماعة منهم خلطوا بينه وبين النسخ استحياءً منهم وحملوه على مسألة النسخ، والفرق بينهما جلي واضح؛ إذ البداء متعلق بالجهل والخطأ، والنسخ بمعنى المحو أو التخفيف، وكلام الله لا يتبدل ولا يتغير.

وقد رأينا كتب الشيعة حافلة بالحديث عن البداء، وبالأدلة على وقوعه من الله تعالى -تعالى الله عن إفكهم_؛ إذ هو عندهم عقيدة.

إن تاريخ عقيدة البداء، ونشأتها، وتطورها؛ يوضح أنها كانت موجودة قبل ظهور التشيع أصلًا، فلقد قال بها اليهود، ووصفوا الله تعالى بالجهل، وبالندم على فعله، وبالحماقة تارة أخرى -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا-، ويؤيد ذلك ما جاء في كتابهم المقدس من نصوص متفرقة في الأسفار. فقد توارث الشيعة عقيدة البداء من اليهود، فعقائد اليهود تكاد تكون منصهرة في عقائد الشيعة وتعاليمهم.

إن جمهور العلماء من أهل السنة: منعوا البداء ورفضوه، وأن الشيعة هم الذين قالوا بالبداء، واستدلوا على فساد ذلك المعتقد بالأدلة النقلية والعقلية، وردوا على اليهود والقدرية الذين ينكرون وقوع النسخ، ويقولون: هو كالبداء سواءً بسواءٍ.

نتائـج البحــث

وختامًا فقد توصلت من خلال هذا البحث إلى جملةٍ من النتائج، أذكر أهمها إجمالًا فيما يلي:

١) تخبط أقطاب الشيعة في تعريف البداء، فمنهم من خلط بين البدع والبداء في محاولة منهم؛ لإخفاء عقيدتهم، لكن نجد الأمر ونقيضه ربما في الفقرة الواحدة. وكذا منهم من خلط بين البداء والنسخ.

٢) البداء: ظهور ما كان خفيًا، والنسخ: رفع حكم يتعلق بأمر أو نهي، وأيضًا البداء: لا يقوم على دليل شرعي؛ بل يقوم على آراء شخصية لتقرير حكم شخصي، وأما النسخ: فيقوم على رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر عنه. وهذا هو الفرق بين البداء والنسخ.

٣) كتب الشيعة حافلة بالحديث عن البداء، وتدلل على وقوعه من الله تعالى -تعالى الله عن إفكهم_؛ إذ هو عندهم عقيدة باتت تشكل لديهم عبادة.

٤) إن المتتبع لتاريخ عقيدة البداء، ونشأتها، وتطورها؛ يجدها لم تظهر فجأة عند الشيعة، وإنما كانت موجودة قبل ظهور التشيع أصلًا، فلقد قال بها اليهود، ووصفوا الله تعالى بالجهل، وبالندم على فعله، وبالحماقة تارة أخرى – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا–، ويؤيد ذلك ما جاء في كتابهم المقدس من نصوص متفرقة في الأسفار.

٥) توارث الشيعة عقيدة البداء -تلك العقيدة التي باتت تُشكلُ عبادة بالنسبة لهم- من اليهود، يشهد لذلك أنك تجد أن عقائد اليهود تكاد تكون منصهرة في عقائد الشيعة وتعاليمهم، وذلك لأن مؤسس التشيع هو (عبدالله بن سبأ -ابن السوداء-) كان يهوديًا؛ فنقل هذا الإرث اليهودي في المعتقد الشيعي حتى أصبح البداء من أقرب القربات عند الشيعة على حد زعمهم.

٦) إن عقيدة البداء في الفكر الشيعي من العقائد التي أحدثت جدلًا بين أواسط علماء الشيعة ومراجعهم، ولقد نظروا إليها كمنهجية متوارثة، فلم يستطع مراجع الشيعة إنكار هذا المعتقد؛ لكنهم حاولوا أن يسوغوا ذلك برواياتٍ كثيرة، جاء في بعضها: أن الإقرار والاعتراف لله بالبداء من الإيمان، وفي بعضها الآخر أن الإيمان لا يتم بدونه، وأنه من أفضل العبادات.

٧) أن النسخ غير البداء عند الشيعة، فالبداء متعلق بالجهل والخطأ، والنسخ بمعنى المحو أو التخفيف، وكلام الله لا يتبدل ولا يتغير.

٨) بين الإمام الأشعري عقيدة الشيعة في البداء، وذكر أن فرق الشيعة اختلفت على ثلاث مقالات، منهم من أثبت لله البداء، والفرقة الثانية منهم يزعمون: أنه جائز على الله البداء فيما علم أنه يكون حتى لا يكون، وجوزوا ذلك فيما اطلع عليه عباده، وأنه لا يكون كما جوزوه فيما لم يطلع عليه عباده. والفرقة الثالثة منهم يزعمون: أنه لا يجوز على الله عز وجل البداء وينفون ذلك عنه -تعالى-. وبذلك لم ينسب البداء للجميع، بل بين اعتقادهم في البداء؛ فهم بين الإثبات والمنع والتوسط.

٩) يوضح صنيع الإمام الأشعري في بيانه عقيدة الشيعة في البداء مدى الإنصاف عند أئمة أهل السنة، وكيف أنهم لا يتجنو على خصومهم مهما بلغت فجوة الخلاف بينهم، وبالرغم من ذلك لم يسلم الإمام وغيره من أعلام المذهب السني من افتراءات وتديس أهل التشيع.

١٠) تناول الإمام الجويني عقيدة البداء، واستدل على فساد ذلك المعتقد بالأدلة العقلية، ورد على اليهود والقدرية الذين ينكرون وقوع النسخ، ويقولون: هو كالبداء سواءً بسواءٍ.

١١) وبين الإمام الجويني أيضًا: أن جمهور العلماء من أهل السنة منعوا البداء ورفضوه، وأن الشيعة هم الذين قالوا بالبداء، وأنهم جاءوا بروايات مكذوبة ألصقوها بسيدنا علي -رضي الله عنه- ومن جاء بعده من الأئمة وفق زعمهم، وذلك؛ ليقرروا هذا المعتقد، بل زعموا أن البداء هو أصل دين الأئمة المعصومين ودين آبائهم من قبلهم، ولا شك أن هذا المعتقد يتنافى وتنزيه الله -تعالى-؛ بل يُمثل نقصًا ورميًا بالباطل -تعالى- الله عن إفكهم.

١٢) وضح الإمام الغزالي معنى النسخ، وأنه ليس في النسخ لزوم البداء، كما بين أسباب الوقوع في البداء، وكذا إنكار النسخ؛ إذ قال: ولأجل قصور فَهْمِ اليهود عن هذا؛ أنكروا النسخَ، ولأجل قصور فَهْمِ الروافض عنه؛ ارتكَبوا البداء.

١٣) بان جليًا كيف تناول علماء أهل السنة (ابتداءً بشيخ المذهب الأشعري "الإمام أبي الحسن" ومرورًا بالأئمة -الباقلاني، والجويني، والغزالي، والفخر

الرازي، والآمدي–، وغيرهم) لمعتقد البداء عند الشيعة، ووضحوا الفرق بينه وبين النسخ، وكيف فندوا شبهات الشيعة حول عقيدتهم هذه، ودحضوا حججهم، وبينوا زيف اعتقادهم، وانحراف تفكيرهم، وألزموهم بالحجة الواضحة بالأدلة العقلية والنقلية.

والله ولي التوفيق والسداد ،،،،،

كتبه / د. علي محمد حسن علي
(مدرس العقيدة والفلسفة .
بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق)

أهم المصادر والمراجع :

١) أبكار الأفكار في أصول الدين، علي بن محمد بن سالم التغلبي، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ) تحقيق: أ. د. أحمد محمد المهدي، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة، الطبعة: الثانية، سنة ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤م.
٢) الإحكام في أصول الأحكام: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ): المحقق: عبد الرزاق عفيفي: الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان: بدون تاريخ.
٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين الجويني، ضبط وتحقيق: أ.د/ أحمد عبدالرحيم السايح، المستشار/ توفيق علي وهبة، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.
٤) أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، طبعة دار المرتضى، لبنان- بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥م.
٥) الاقتصاد في الاعتقاد: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ): وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي: الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: الطبعة: الأولى، سنة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.
٦) الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه: شمس الدين محمد بن عثمان بن علي المارديني الشافعي (المتوفى: ٨٧١هـ): تحقيق: عبد الكريم بن علي محمد بن النملة: طبعة: مكتبة الرشد – الرياض: الطبعة: الثالثة، سنة: ١٩٩٩م.
٧) الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني البصري، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة: الثانية، سنة ١٤١٢ هـ-٢٠٠٠م.
٨) أوائل المقالات، محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم (المفيد)، تحقيق: الشيخ/ إبراهيم الأنصاري، الناشر: المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، مطبعة: مهر، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١٣هـ.

٩) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، تحقيق وطبعة: مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، إيران- قم المقدسة، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٣٠ هـ.

١٠) البداء في ضوء الكتاب والسنة، جعفر السبحاني، تعريب: جعفر الهادي، طبعة دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ-١٩٨٨م.

١١) بصائر الدرجات، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، الناشر: شركة الأعلمي للمطبوعات، لبنان-بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٢) تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ): المحقق: مجموعة من المحققين: الناشر: دار الهداية، بدون تاريخ.

١٣) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ) الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١٤) التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ): المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان: الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٥) تفسير العياشي، محمد بن مسعود ابن عياش السلمي السمرقندي، الناشر : مؤسسة الأعلمي-بيروت، الطبعة الأولى، سنة: ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٦) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): المحقق: سامي بن محمد سلامة: الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع: الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٧) تفسير الكتاب المقدس، تفسير سفر الخروج، الارشيدياكون نجيب جرجس، الناشر بيت مدارس الأحد، روض الفرج، القاهرة، الطبعة الثالثة، فبراير ٢٠٠٢م.

١٨) تفسير سفر صموئيل، كنيسة العذراء بالفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.

١٩) تفسير سفر عاموس، كنيسة العذراء بالفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، أغسطس ٢٠٠٨م.

٢٠) تفسير سفر يونان، كنيسة العذراء بالفجالة، القاهرة، الطبعة الأولى، أغسطس ٢٠٠٨م.

٢١) التلخيص في أصول الفقه للجويني، المحقق: عبد الله جولم النبالي وبشير أحمد العمري الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، بدون تاريخ.

٢٢) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: عماد الدين أحمد حيدر الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م

٢٣) التوحيد، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تحقيق: السيد هاشم الحسيني، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، بدون تاريخ ولا رقم طبعة.

٢٤) التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ): الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت–القاهرة: الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

٢٥) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ): تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة: الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

٢٦) دراسات في الكافي للكليني، والصحيح للبخاري . هاشم معروف . طبعة دار التعارف للمطبوعات . بيروت . لبنان . الطبعة الثانية، سنة:١٣٩٨ ه – ١٩٧٨ م

٢٧) رسائل المرتضى للشريف المرتضى، المجموعة الأولى؛ والثانية، تحقيق وتقديم: السيد أحمد الحسيني، إعداد: السيد مهدي الرجائي، مطبعة سيد الشهداء –قم، الناشر: دار القرآن الكريم –قم –إيان، الطبعة الأولى، سنة: ١٤٠٥ هـ.

٢٨) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ): طبعة: مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع: الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

٢٩) سفر التكوين، الكتاب المقدس، طبعة دار الكتاب المقدس، مصر، الإصدار الثالث، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٦م

٣٠) سفر الخروج، الكتاب المقدس، طبعة دار الكتاب المقدس، مصر، الإصدار الثالث، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٦م

٣١) سفر صموئيل الأول ، الكتاب المقدس، طبعة دار الكتاب المقدس، مصر، الإصدار الثالث، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٦م

٣٢) سفر عاموس، الكتاب المقدس، طبعة دار الكتاب المقدس، مصر، الإصدار الثالث، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٦م.

٣٣) سفر يونان، الكتاب المقدس، طبعة دار الكتاب المقدس، مصر، الإصدار الثالث، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٦ م

٣٤) شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني، تعليق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، تحقيق: السيد علي عاشور، طبعة: دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت–لبنان، الطبعة الثانية، سنة: ١٤٢٩ هـ –٢٠٠٨ م.

٣٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ): الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، بدون تاريخ.

٣٦) الكافي . الكليني . أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي رحمه الله المتوفى سنة ٣٢٨ / ٣٢٩ ه مع تعليقات نافعة مأخوذة من عدة شروح صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري نهض بمشروعه الشيخ محمد الآخوندي، الناشر: دار الكتب الاسلامية مرتضى آخوندي، طهران– بازار سلطاني، الطبعة الثالثة، سنة: ١٣٨٨ هـ.

٣٧) كنز الفوائد، الشيخ: محمد بن علي بن عثمان الكراجكي الطرابلسي، تحقيق: الشيخ/ عبدالله نعمه، طبعة دار الأضواء، بيروت–لبنان، سنة: ١٤٠٥ هـ–١٩٨٥م.

٣٨) لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ): الناشر: دار صادر – بيروت: الطبعة: الثالثة، سنة: ١٤١٤ هـ.

٣٩) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، الفخر الرازي، راجعه وقدم له: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

٤٠) مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ): المحقق: يوسف الشيخ محمد: الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا: الطبعة: الخامسة، سنة:١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٤١) المستصفى: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ): تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي: طبعة: دار الكتب العلمية: الطبعة: الأولى، سنة: ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

٤٢) مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي دراسة نقدية في ضوء الإسلام، د. عبدالرحمن بن زيد الزبيدي، طبعة مكتبة المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢ هـ –١٩٩٢ م.

٤٣) مع الشيعة الإمامية في عقائدهم، جعفر السبحاني، الناشر: معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣هـ.
٤٤) معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، مؤسسة الخوئي للطباعة والنشر والتوزيع، النجف الأشرف، العراق، (بدون اسم للطبعة، أو تاريخ لها).
٤٥) المعجم الفلسفي (بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية)، د. جميل صليبا (المتوفى: ١٩٧٦م)، الناشر: الشركة العالمية للكتاب – بيروت، تاريخ الطبع: ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م .
٤٦) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ): الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت: الطبعة: الثالثة، سنة: ١٤٢٠هـ.
٤٧) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، شيخ أهل السنة والجماعة الإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا–بيروت، سنة: ١٤١١هـ–١٩٩٠م.
٤٨) مناهج البحث الفلسفي، د. محمود زيدان، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، القاهرة، سنة ١٩٧٧م.
٤٩) مناهج وأساليب البحث العلمي النظرية والتطبيق، د. يحيى مصطفى عليان، د. عثمان محمد غنيم، طبعة دار صفاء، عمان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠ هـ –٢٠٠٠ م.
٥٠) موسوعة الفقهاء، تأليف: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق، إشراف: جعفر السبحاني، طبعة:: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان–، سنة ١٩٩٩م.
٥١) الموسوعة الكنسية لتفسير العهد القديم شرح لكل آية، إعداد: كهنة وخدام كنيسة مار مرقص بمصر الجديدة، الناشر: كنيسة مار مرقص القبطية الأرثوذكيسة بمصر، مطبعة دير الشهيد، القاهرة، الطبعة الأولى، مارس، سنة: ٢٠٠٦م.

٥٢) الواضح في علوم القرآن: مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو: طبعة: دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية – دمشق: الطبعة: الثانية، سنة: ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

٥٣) الورقات: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ): تحقيق: د. عبد اللطيف محمد العبد: (بدون اسم للطبعة، أو تاريخ لها).

٥٤) وفيات الأعيان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: سنة ١٩٠٠م.